شَرْحُ

الأصُول الثلاثة وأدلتها

للإمام المجدد شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

شرحه فضيلة الشيخ

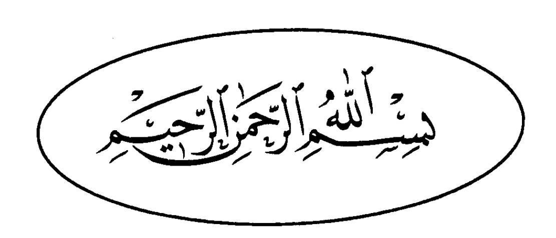
محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

وفضيلة الشيخ

صالح آل الشيخ

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية / الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم

شرح

الأصول الثلاثة وأدلتها

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

طبعة جديدة منقحة

رقم الإيداع : ١١٦٨٧ / ٢٠٠٤

الناشر

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية / الإسكندرية

٢٤ ش كانوب - كامب شيزار - ت ٥٩٠١٥٨٠

٤٩ ش القنطرة - محطة مصر - ت ٣٩١٢٠٥١

ترجمة المؤلف

شيخ الإسلام الإمام
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى

● **ولادته ونشأته ورحلته لطلب العلم :**

ولادته سنة ١١١٥هـ الموافق ١٧٠٣م، وفاته سنة ١٢٠٦هـ. ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض، ونشأ الشيخ في حجر أبيه عبد الوهاب في تلك البلدة في زمن إمارة عبد الله بن محمد بن حمد بن معمر.

وكان رحمه الله سباقًا في عقله وفي جسمه فطنًا ذكيًّا، فقد استظهر القرآن قبل بلوغه العشر، وبلغ الاحتلام قبل إتمام الاثنتي عشرة سنة، قال أبوه: رأيته أهلًا للصلاة بالجماعة وزوجته في ذاك العام.

● **طلبه للعلم :**

درس على والده الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، وكان في صغره مكبًّا على كتب التفسير والحديث والعقائد، وكان يعتني بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن القيم - رحمهما الله - ويكثر من مطالعة كتبهما.

● **رحلاته العلمية :**

ثم غادر البلاد قاصدًا حج بيت الله الحرام، وبعد أدائه الفريضة أم المدينة

المنورة وقصد المسجد النبوي وزار إمام المرسلين ﷺ وصحابته الأبرار المخلصين.

وقرأ على بعض علماء المدينة، ومن مشايخه هناك الشيخ عبد الله بن إبراهيم ابن سيف من آل سيف النجدي والشيخ علي أفندي الداغستاني والشيخ إسماعيل العجلوني، كما استفاد من الشيخ عبد اللطيف العفالقي الأحسائي والشيخ محمد العفالقي الأحسائي والشيخ محمد حياة السندي، ثم رجع إلى نجد وتوجه إلى البصرة فأقام مدة في البصرة ودرس العلم فيها على جماعة من العلماء، منهم الشيخ محمد المجموعي، وقد قرأ عليه الكثير من النحو واللغة والحديث وغيرها. وذكر المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمري الموصلي في كتابه [غرائب الأثر] أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قدم الموصل وقرأ العلم على العلامة مولانا ملا حمد الجميلي وأخذ عنه الكثير، ويقال: إن المؤرخ العمري كان معاصراً للإمام.

ثم رجع إلى نجد، ومر في طريقه بالأحساء، وقرأ على الشيخ محمد بن عبداللطيف الشافعي مدة من الزمن، ثم رجع إلى بلاده، وقد شاهد أحوال نجد والحرمين والعراق وغيرها من البلدان من المنكرات والشركيات والبدع والضلالات حتى عندما كان في المدينة المنورة يسمع الاستغاثات برسول الله ودعائه من دون الله، فقال للشيخ محمد حياة السندي: ما تقول يا شيخ في هؤلاء؟ فأجابه على الفور: إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون.

● **عقيدته:**

يعتقد أن الله واحدٌ أحدٌ، فردٌ صمدٌ، لا شريك له ولا مثيل ولا وزير ولا مشير، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، يُفرد بالعبادة، لا يُشرَك به أحد، لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل، لا يفرق بين أحد من أنبياء الله ورسله، ويعتقد أن محمَّدًا أفضلهم وخاتمهم، وأن خير الناس الصحابة ثم التابعون.

يؤمن بالقدر خيره وشره، ويبرأ مما قاله النفاة المخالفون لسبيل المؤمنين من القدرية والجبرية. ويعتقد بأفضلية الخلفاء المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، ويوالي كافة أهل الإسلام وعلمائهم من أهل الحديث والفقه والتفسير، ولاسيما أئمة المذاهب الأربعة ويرىٰ فضلهم وإمامتهم.

يؤمن بما وصف الله به نفسه في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وأن الله ليس كمثله شيء وأن الله علىٰ كل شيء قدير، ويؤمن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلىٰ الأجساد يوم الحشر.

يعتقد بأن كل محدثة بدعة، وأن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولا يكفر أحداً من المسلمين بذنب ما لم يستحله، ويرىٰ هجر أهل البدع ومباينتهم حتىٰ يتوبوا ويحكم عليهم بظاهرهم ويكل سرائرهم إلىٰ الله.

❑ ❑ ❑

ترجمة الشارح

فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

● **اسمه** : محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي .

● **كنيته** : أبو عبد الله .

● **مولده** :

ولد الشيخ - رحمه الله - في مدينة (عُنيزة) وهي إحدىٰ مدن (القصيم) في يوم ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧هـ.

● **نشأته** :

قرأ القرآن الكريم علىٰ جدِّه من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ فحفظه ثم اتجه إلىٰ طلب العلم، فتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ قد رزق ذكاءً، وهمةً عالية، وحرصًا علىٰ التحصيل العلمي، في مزاحمته بالركب للعلماء.

● **مشايخه** :

استفاد الشيخ أبو عبد الله في طلبه للعلم من عدة شيوخ، بعضهم في مدينة عنيزة، وبعضهم في الرياض عندما سكنها للدراسة النظامية، ومن الشيوخ الذي تدرس عليهم:

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -

الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي - الشيخ علي بن حمد الصالحي - الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع - الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ .

● **تلاميـذه :**

لا يمكن حصر جميع من تتلمذ على الشيخ ؛ لأنهم ازدحموا في مجلسه - لاسيما في السنوات الأخيرة - بما يزيد على الخمسمائة طالب في بعض الدروس ، على اختلاف مستوياتهم .

● **آثـاره العلميـة :**

لقد صنف الشيخ - رحمه الله - آثاراً علمية في مجالات شتى ، من مسموع ، أو مكتوب . في العقيدة ، والفقه ، والحديث ، والأخلاق ، والسلوك ، والمعاملات ، وغيرها ، مما كان لها الأثر الكبير في استفادة الناس منها ، سواء على مستوى عامة الناس ، أو طلبة العلم .

ومن بعض آثاره العلمية : فتح رب البرية بتلخيص الحموية - مصطلح الحديث - الأصول من علم الأصول - رسالة في الوضوء والغسل والصلاة - كفر تارك الصلاة - مجالس شهر رمضان - الأضحية والذكاة - المنهج لمريد العمرة والحج - تسهيل الفرائض - لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد - شرح العقيدة الواسطية - عقيدة أهل السنة والجماعة - القواعد المثلى - رسالة في الحجاب - رسالة في الصلاة والطهارة لأهل الأعذار - مواقيت الصلاة - سجود السهو في الصلاة - أقسام المداينة - وجوب زكاة الحلي - تفسير آية الكرسي - الضياء اللامع من الخطب الجوامع - الفتاوى النسائية - زاد الداعية إلى الله - فتاوى الحج - المجموع الثمين - حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة - الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه - من مشكلات الشباب - رسالة في المسح على الخفين - أصول التفسير - رسالة في الدماء

الطبيعية للنساء - أسئلة مهمة - الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع - إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار - رسالة في أحكام الميت وغسله - نيل الأرب من قواعد ابن رجب «لم يطبع» - منظومة في أصول الفقه - أحكام قصر الصلاة للمسافر «لم تطبع» - تفسير آيات الأحكام «لم يكمل» - شرح عمدة الأحكام «لم يكمل» - تخريج أحاديث الروض المربع «لم يطبع» - رسالة في أن الطلاق الثلاث واحدة ولو بكلمات «لم يطبع» - مختارات من زاد المعاد - مختارات من أعلام الموقعين - مختارات من الطرف الحكمية - مجموع دروس وفتاوىٰ الحرم المكي - مختارات من فتاوىٰ الصلاة - الربا صوره أقسام الناس فيه - نبذة في العقيدة الإسلامية - مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب - حكمة إرسال الرسل - شرح أصول الإيمان - الشرح الممتع على زاد المستنقع - المنتقىٰ من فرائد الفوائد - القول المفيد شرح كتاب التوحيد . . . . . وغيرها الكثير .

● **مرضه ووفاته - رحمه الله - :**

توفي الشيخ يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شوال ١٤٢١هـ، بعد معاناة وصراع مع المرض الشديد والألم المرير، حتىٰ نزل وزنه إلىٰ ٣٨ك، وصارت درجة المناعة عنده صفراً، وكل من استمع إليه في رمضان هذا العام - عام وفاته - في الحرم يعلم ذلك، إذ كان المرض قد تمكن منه واشتد عليه أيما اشتداد .

فنسأل الله عز وجل أن يتغمده برحمته، وأن يعلي قدره ومنزلته، ويحشره مع الصالحين والشهداء .

❑ ❑ ❑

متن الأصول الثلاثة وأدلتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم رحمك اللَّهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ ؛

الأُولى : العِلْمُ. وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّه وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلاَمِ بالأَدِلَّـةِ.

الثَّانِيةُ : العَمَلُ بِه.

الثَّالِثَةُ : الدَّعْوَةُ إِلَيْه.

الرَّابِعَةُ : الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيْه،

والدَّلِيْلُ قَوْلُـهُ تَعَالَى: ﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③ ﴾.

قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ الله تَعَالى - : «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّـةً عَلَى خَلْقِه إلاَّ هَذِه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ البُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - : «بَابُ العِلْمِ قَبْلَ القَولِ وَالعَمَلِ». والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [سورة محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّـمُ ثَلاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ والعَمَلُ بِهِنَّ.

الأُولَى : أنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَـا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَـلاً بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُـولاً فَـمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ [سورة المزمل: ١٥، ١٦].

الثانية: أَنَّ الله لاَ يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحدٌ في عبادته لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولاَ نَبيٌّ مُرْسَلٌ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وأَنَّ الْمَسَاجِدَ للَّه فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّه أَحَداً ﴾ [سورة الجن: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢].

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] وَمَعَنى يَعْبُدُون يُوَحِّدُون.

وأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ. وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [سورة النساء: ٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ. الَّتِيْ يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُها ؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّد ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ ؟

فَقُلْ: ربِّيَ اللهُ الَّذِي ربَّانِي وَرَبَّى جَـمِيْعَ العَالَمِـيْنَ بنِعَمِه. وَهُـو معبُوْدِي لِيْس لِي مَعْبُـودٌ سِواهُ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٢]. وَكُلُّ مَا سِوَى الله عَالَمٌ وأَنَا وَاحِدٌ مِنَ العَالَمِ.

فإذا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِه وَمَخْلُوْقَـاتِه وَمِنْ آيَاتِه اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَـرُ، وَمِنْ مَخْلوْقَاتِه السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرضُوْنَ السَّبْعَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا.

والدَّلِيْلُ قَوْلُـهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٧]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ الإِسْلامِ، وَالإِيْمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ

العِبَادَةِ الَّتِيْ أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّهَا لله تَعَالَى .

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الجن:١٨]

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]

وَفِيْ الْحَدِيْثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ» (١).

وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [سورة غافر:٦٠].

وَدَلِيْلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيْلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف:١١٠].

وَدَلِيْلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المائدة:٢٣].

وَقَالَ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [سورة الطلاق:٣] .

وَدَلِيْلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوْعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١) بسند ضعيف وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة». وقال المباركفوري في التحفة: «وهو ضعيف عند أهل الحديث ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره».

وقد ثبت بلفظ: «الدعاء هو العبادة» رواه الترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (١٧٨٨٨) ومواضع.

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠].

وَدَلِيْلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [سورة البقرة:١٥٠].

وَدَلِيْلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [سورة الزمر:٥٤].

وَدَلِيْلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥].

وَفِيْ الْحَدِيْثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».

وَدَلِيْلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق:١] وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [سورة الناس:١].

وَدَلِيْلُ الاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٩].

وَدَلِيْلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ﴾[سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١).

وَدَلِيْلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [سورة الإنسان:٧].

الأَصْلُ الثَّانِيْ: مَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلاَمِ، بِالأَدِلَّةِ. وَهُوَ: الاسْتِسْلاَمُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيْدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ؛ وَهُوَ ثَلاَثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلاَمُ، وَالإِيْمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٧٨).

فَدَلِيْلُ الشَّهَادة قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران:١٨]

وَمَعْنَاهَا: لاَ مَعْبُوْدَ بِحَقٍّ إِلاَّ اللهُ؛ «لاَ إِلهَ» نَافِيًا جَمِيْعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ الله «إِلاَّ اللهُ» مُثْبِتًا العِبَادَةَ لله وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ فِي عِبَادَتِه، كَمَا أَنَّهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ فِيْ مُلْكِه.

وَتَفْسِيْرُهَا الَّذِيْ يُوَضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران:٦٤]

وَدَلِيْلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ الله قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:١٢٨]

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ الله: طَاعَتُهُ فِيْمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيْقُهُ فِيْمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لاَ يُعْبَدَ اللهُ إِلاَّ بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيْلُ الصَّلاَة، وَالزَّكَاة، وَتَفْسِيْرُ التَّوْحِيْدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [سورة البينة:٥]

وَدَلِيْلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٨٣]

وَدَلِيْلُ الحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران:٩٧]

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ :الإِيْمَانُ ، وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُوْنَ شُعْبَةً ، فَأَعْلاَهَا قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيْقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تَؤْمِنْ بِاللهِ ، وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

وَالدَّلِيْلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [سورة البقرة:١٧٧]

وَدَلِيْلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر:٤٩]

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ :الإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ وَهُوَ: «أَنْ تَعْبُدُ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَرَاهُ فَإِنَّه يَرَاكَ».

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل:١٢٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الشعراء:٢١٧-٢٢٠] وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [سورة يونس:٦١]

وَالدَّلِيْلُ مِنَ السُّنَّةِ :حَدِيْثُ جِبْرَائِيْلُ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ولاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ

الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيْمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْه سَبِيلاً» قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليَوْمِ الآخرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عن الإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَة، قَالَ: «مَا الْمَسْئُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنَّ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِيْ الْبُنْيَانِ» قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيًّا فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِيْ مَنِ السَّائِلُ»؟ قُلْتُ: الله وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»(١).

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيْلَ، ابْنِ إِبْرَاهِيْمَ الْخَلِيْلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ. وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ: ثَلاَثٌ وَسِتُّوْنَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُوْنَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاَثٌ وَعِشْرُوْنَ نَبِيًّا وَرَسُوْلاً، نُبِّئَ بِاقْرَأْ وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةَ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُوْ إِلَى التَّوْحِيدِ. وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [سورة المدثر: ١-٧].

وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُوْ إِلَى التَّوْحِيْدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِين يَدْعُوْ إِلَى التَّوْحِيْدِ وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاء ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّى فِى مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِيْنَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ ، وَالْهِجْرَةُ فَرِيْضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُوْمُ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ [سورة النساء:٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة العنكبوت:٥٦]، قَالَ البَغَوِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ : «سَبَبُ نُزُوْلِ هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِيْنَ الَّذِيْنَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيْمَان.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ : «لاَ تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلاَ تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١).

فَلَمَا اسْتَقَرَّ بِالمَدِيْنَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ مِثْلُ: الزَّكَاة، والصَّوم، وَالحَجِّ، والجِهَاد، وَالأَذَان، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلام.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا تُوُفِّي صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِيْنُهُ بَاقٍ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٤٧٩)، وأحمد (١٦٤٦٣)، والدارمي (٢٥١٣)، وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع (٧٤٦٩).

وَهَـذَا دِينُهُ، لاَ خَيْـرَ إلاَّ دَلَّ الأُمَّـةَ عَلَيْـه، وَلاَ شَرَّ إلاَّ حَـذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْـرُ الذي دَلَّ عَلَيْه: التَّوْحِيْـدُ، وَجَمِيْعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَـاهُ. وَالشَّرُّ الَّـذِي حَـذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيْعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأبَاهُ.

بَعَـثَـهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كافَّـةً ، وَافْـتَـرضَ اللهُ طَاعَتَـهُ عَلَى جَـمِـيْعُ الثَّـقَلَـيْنِ: الجِـنِّ وَالإِنْـسِ.

والدَّلِيْـلُ قَوْلُــهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَـا أَيُّهَا النَّـاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّـهِ إِلَيْكُمْ جَـمِـيـعًا ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

وأكمَلَ اللهُ به الدِّيْنَ، وَالدَّلِيْلُ قَـوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة: ٣].

وَالدَّلِيْلُ عَلَى مَوْته ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٣٠-٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْـعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَـوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [سورة طه: ٥٥]، وَقَوْلُهُ تَـعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [سورة نوح: ١٧-١٨].

وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [سورة النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَـرَ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيْعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [سورة النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّد ﷺ، والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أوَّلَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [سورة النساء:١٦٣]. وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولاً مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّد؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُم عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوْت، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦].

وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيْعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوْتِ والإِيْمَانَ بِاللَّهِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ الله تَعَالَى ـ: الطَّاغُوْتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوْعٍ، أَوْ مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاغِيْتُ كَثِيرَةٌ وَرُءُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيْسُ لَعَنَهُ اللَّهُ.

وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِن عِلْمِ الْغَيْبِ؛ وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [سورة البقرة:٢٥٦] وَهَذَا مَعْنَى لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ.

وَفِي الحَدِيْثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِيْ سَبِيْلِ الله».

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

❑ ❑ ❑

الأصول الثلاثة وأدلتها

للإمام المجدد شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله .

شرح

فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين

ـ رحمه الله ـ

وفضيلة الشيخ/ صالح آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

●**قوله : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَن الرَّحِيم) :**

• الشرح •

●**قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :**

ابتدأ المؤلف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإنه مبدوء بالبسملة، واتباعًا لحديث «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر**»(١) واقتداءً بالرسول ﷺ ، فإنه يبدأ كتبه بالبسملة .

والجار والمجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر مناسب للمقام تقديره : بسم الله أكتب أو أصنف . وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال . وقدرناه مؤخرًا لفائدتين :

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالىٰ .

الثانية: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر .

وقدرناه مناسبًا لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتابًا باسم الله نبتدئ ما يدرىٰ بماذا نبتدئ، لكن بسم الله أقرأ يكون أدل على المراد الذي أبتدئ به .

الله : علم على الباري جل وعلا وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتىٰ إنه في قوله تعالىٰ : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ**

(١) ضعيف: رواه ابن ماجه (١٨٩٤)، وأحمد (٨٤٩٥) وضعفه الألباني ـ رحمه الله ـ في ضعيف الجامع (٤٢١٦) وقد أورد تفاصيل ذلك في أوائل أحاديث الإرواء .

لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[سورة إبراهيم:١، ٢] لا نقول إن لفظ الجلالة (الله) صفة بل نقول هي عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة تابعًا تبعية النعت للمنعوت.

الرحمن : اسم من الأسماء المختصة بالله عز وجل لا يطلق على غيره والرحمن معناه المتصف بالرحمة الواسعة.

الرحيم : يطلق على الله عز وجل وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواصلة، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة فإذا جمعا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾[سورة العنكبوت:٢١].

❑ ❑ ❑

● **قوله: (اعلم رحمك اللَّهُ) أو (اعلم رحمني الله وإياك):**

• الشرح •

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا. ومراتب الإدراك ست:

الأولى: العلم وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

الثانية: الجهل البسيط وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة: الجهل المركب وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

الرابعة: الوهم وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

الخامسة: الشك وهو إدراك الشيء مع احتمال مساوٍ.

السادسة: الظن وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

فالضروري: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضروريًا بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.

والنظري: ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

رحمك الله: أفاض عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك، فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها هذا إذا أفردت الرحمة، أما إذا قرنت بالمغفرة فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة والتوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل. وصنيع المؤلف رحمه الله تعالى يدل على عنايته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير له.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ**:

وهذا فيه تلطف وفيه التنبيه على أن مبنى هذا العلم على التلطف وعلى الرحمة بالمتعلمين لأنه دعا له بالرحمة. وكان العلماء يرون ويروون لمن بعدهم في من طلب الإجازة في الحديث رواية حديث «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»(١) وهذا الحديث معروف عند المحدثين بالحديث (المسلسل بالأولية) لأن كل راوٍ يقول لمن بعده: وهو أول حديث سمعته منه. الحديث: «**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**». لذلك قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: (اعلم رحمك الله) وهو دعاء للطلاب بالرحمة فالتعلم بين المتعلمين هو التراحم فيما بينهم قال العلماء: (لأن أول هذا العلم ومبناه على الرحمة وغايته الرحمة).

❑ ❑ ❑

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٢٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، وأحمد (٦٤٥٨)، وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع (٣٥٢٢).

● قوله : (أنَّه يجبُ علَيْنا تَعلُّمُ أرْبعِ مَسَائِلَ)

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

هذه المسائل التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها .

● قال الشيخ صالح آل الشيخ :

المقصود بالوجوب هنا ما يشمل الوجوب العيني والوجوب الكفائي فما ذكره المصنف وهو (العلم) يكون واجبًا وجوبًا عينيًّا وهو معرفة ثلاثة الأصول، معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ﷺ ، فمثل هذا العلم لاينفع فيه التقليد فالواجب أن يُحَصِّلَهُ العبد بدليله ، والعبارة المشهورة عند أهل العلم : (أن التقليد لاينفع في العقائد) . التقليد هذا في العقائد عند أهل السنة والجماعة ، وكذلك لايجوز عند المبتدعة من الأشاعرة والماتريدية والمتكلمة ، ولكن هناك فرق في التقليد بين أهل السنة وبين المبتدعة .

الفرق بين أهل السنة والمبتدعة في أول واجب فأولئك المبتدعة يرون أول واجب هو النظر فلا يصح الإيمان إلا إذا نظر العبد ، ويقصدون بالنظر : النظر في الآيات المرئية الكونية ، فيستدل على وجود اللَّه بنظره فينظر إلى السماء وإلى الكون .

أما أهل السنة فيقولون : يجب أن يؤخذ الحق بالدليل من الآيات المتلوة بخلاف المبتدعة ، فينظر أهل السنة في الآيات المتلوة وذلك فيما لايصح إسلام العبد إلا به مثل : معرفة المسلم أن اللَّه جل وعلا هو المستحق وحده للعبادة دون ما سواه فلابد من معرفة الدليل عليه ولو مرة واحدة .

❊ ❊ ❊

● قوله: (العِلْمُ. وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ):

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

أي معرفة الله عز وجل بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد ﷺ.

ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علمًا بخالقه ومعبوده قال الله عز وجل: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[سورة الذاريات: ٢٠، ٢١].

قوله: (ومعرفة نبيه): أي معرفة رسوله محمد ﷺ المعرفة التي تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق، وتصديقه فيما أخبر، وامتثال أمره فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه.

قال الله عز وجل: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[سورة النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[سورة النور: ٥١].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[سورة النساء: ٥٩].

وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة النور: ٦٣].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك».

قوله (معرفة دين الإسلام): الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل.

قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**﴾[سورة البقرة: ١٢٨].

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلمًا ومن خالفه ليس بمسلم، فأتباع جميع الرسل مسلمون في زمن رسلهم، فاليهود مسلمون في زمن موسى ﷺ، والنصارى مسلمون في زمن عيسى ﷺ، وأما حين بعث النبي محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين.

وهذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه.

قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾[سورة آل عمران: ١٩].

وقال: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[سورة آل عمران: ٨٥]

وهذا الإسلام هو الإسلام الذي امتن الله به على محمد ﷺ وأمته.

قال الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾[سورة المائدة: ٣]

قوله (بالأدلة): جمع دليل وهو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة على معرفة ذلك سمعية، وعقلية، فالسمعية ما ثبت بالوحي وهو الكتاب والسنة، والعقلية ما ثبت بالنظر والتأمل، وقد أكثر الله عز وجل من ذكر هذا النوع في كتابه فكم من

آية قال الله فيها ومن آياته كذا وكذا وهكذا يكون سياق الأدلة العقلية الدالة على الله تعالى.

وأما معرفة النبي ﷺ بالأدلة السمعية فمثل قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[سورة الفتح: ٢٩] الآية.

وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[سورة آل عمران: ١٤٤].

بالأدلة العقلية بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات التي أعظمها كتاب الله عز وجل المشتمل على الأخبار الصادقة النافعة والأحكام المصلحة العادلة، وما جرى على يديه من خوارق العادات، وما أخبر به من أمور الغيب التي لا تصدر إلا عن وحي والتي صدقها ما وقع منها.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

وهو أول المسائل الأربع التي يجب علينا تعلمها، والعلم أجمله هنا بما سيأتي تفصيله.

❑ ❑ ❑

●**قوله: (العَمَلُ بِهِ):**

• الشرح •

●**قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

قوله: (العمل به): أي العمل بما تقتضيه هذه المعرفة من الإيمان بالله والقيام بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من العبادات الخاصة، والعبادات المتعدية، فالعبادات الخاصة مثل الصلاة، والصوم، والحج، والعبادات المتعدية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله وما أشبه ذلك.

والعمل في الحقيقة هو ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى،

ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

ثاني المسائل وهو منه ما تركه كفر، ومنه ما تركه معصية، ومنه ما تركه مكروه، ومنه ما تركه مباح، ويكون ذلك كما يلي:

١ - فالعلم بالتوحيد وهو معرفة أن اللَّه وحده المستحق للعبادة إذا علمه العبد ولم يعمل به بأن أشرك مع اللَّه غيره لم ينفعه علمه، **فيكون تركه العمل بالعلم كفراً في حقه**.

٢ - **وقد يكون معصية** كأن يعلم أن الخمر حرام فخالف في ذلك، فيكون عدم العمل بما علمه من حرمة شربها وحرمة بيعها ونحو ذلك كبيرة ومعصية من كبائر الذنوب.

٣ - ومنه ما هو مكروه مثل أن يعلم أن النبي ﷺ كان يصلي على صفة معينة فخالفه فيها، وتركه لها مكروه في السنن لا في الواجبات ويكون العمل به مستحبًا.

٤ - وقد يكون العمل بالعلم مباحًا وتركه مباح أيضًا في مثل المباحات والعادات ونحو ذلك كالأمور الجبلية الطبعية التي كان يفعلها النبي ﷺ ولم نخاطب فيها بالاقتداء، فإذا ترك العمل بها كان تركه مباحًا له في نحو سير النبي ﷺ وصوته والأمور الجبلية، وقد يؤجر عليه إذا نوى الاقتداء، ودليل العمل بالعلم أخذه من قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾.

❑ ❑ ❑

● قوله: (الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ):

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

أي الدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ من شريعة الله تعالى على مراتبها الثلاث أو الأربع التي ذكرها الله عز وجل في قوله: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[سورة النحل:١٢٥]، والرابعة قوله: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[سورة العنكبوت:٤٦].

ولابد لهذه الدعوة من علم بشريعة الله عز وجل حتى تكون الدعوة عن علم وبصيرة، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[سورة يوسف:١٠٨]. والبصيرة تكون فيما يدعو إليه بأن يكون الداعية عالمًا بالحكم الشرعي، وفي كيفية الدعوة، وفي حال المدعو.

ومجالات الدعوة كثيرة منها: الدعوة إلى الله تعالى بالخطابة، وإلقاء المحاضرات، ومنها الدعوة إلى الله بالمقالات، ومنها الدعوة إلى الله بحلقات العلم، ومنها الدعوة إلى الله بالتأليف ونشر الدين عن طريق التأليف، ومنها الدعوة إلى الله في المجالس الخاصة فإذا جلس الإنسان في مجلس في دعوةٍ مثلاً فهذا مجال للدعوة إلى الله عز وجل ولكن ينبغي أن تكون على وجه لا ملل فيه ولا إثقال، ويحصل هذا بأن يعرض الداعية مسألة علمية على الجالسين ثم تبتدئ المناقشة ومعلوم أن المناقشة والسؤال والجواب له دور كبير في فهم ما أنزل الله على رسوله وتفهيمه، وقد يكون أكثر فعالية من إلقاء خطبة أو محاضرة إلقاءً مرسلاً كما هو معلوم.

والدعوة إلى الله عز وجل هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وطريقة من تبعهم بإحسان، فإذا عرف الإنسان معبوده، ونبيه، ودينه ومنَّ الله عليه بالتوفيق لذلك فإن عليه السعي في إنقاذ إخوانه بدعوتهم إلى الله عز وجل وليبشر بالخير، قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» متفق على صحته[١] .

ويقول ﷺ فيما رواه مسلم: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[٢] .

وقال ﷺ فيما رواه مسلم أيضًا: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[٣] .

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

ثالث المسائل فإذا علم وعمل فإنه يدعو إلى ذلك. والدعوة قد تكون:

١ - بالمقال وقد تكون.

٢ - بالفعال.

أولاً الدعوة بالفعال: لأن الامتثال بالفعل دعوة، فإذا امتثل المسلم لما أمر به فإن هذا يجعله يرشد غيره إرشاداً صامتًا بالفعل إلى هذا مطلوب.

الثاني: الدعوة بالقول باللسان: وهي قد تكون واجبة وقد تكون مستحبة،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٩٣).

فيتفرع عن الدعوة باللسان أنواع مها الدعوة بالكتاب في التأليف، ومنها المواعظ والنصائح ونحو ذلك.

□ □ □

● قوله: (الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيْهِ):

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

الصبر حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله فيحبس النفس عن التسخط والتضجر والملل، ويكون دائمًا نشيطًا في الدعوة إلى دين الله وإن أوذي؛ لأن أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [سورة الأنعام: ٣٤]، وكلما قويت الأذية قرب النصر، وليس النصر مختصًّا بأن ينصر الإنسان في حياته ويرى أثر دعوته قد تحقق بل النصر يكون ولو بعد موته بأن يجعل الله في قلوب الخلق قبولاً لما دعا إليه وأخذًا به وتمسكًا به فإن هذا يعتبر نصرًا لهذا الداعية وإن كان ميتًا، فعلى الداعية أن يكون صابرًا على دعوته مستمرًا فيها، صابرًا على ما يدعو إليه من دين الله عز وجل، صابرًا على ما يعترض دعوته، صابرًا على ما يعترضه هو من الأذى، وها هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا بالقول وبالفعل قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [سورة الذاريات: ٥٢]، وقال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الفرقان: ٣١].

ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصبر وانظر إلى قول الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٣] كان من

المنتظر أن يقال فاشكر نعمة ربك ولكنه عز وجل قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [سورة الإنسان: ٢٤] وفي هذا إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلابد أن يناله مما يحتاج إلى صبر، وانظر إلى حال النبي ﷺ حين ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(١) فعلى الداعية أن يكون صابرًا محتسبًا.

والصبر ثلاثة أقسام:

- ١ ـ صبر على طاعة الله.

٢ ـ صبر عن محارم الله.

٣ ـ صبر على أقدار الله التي يجريها إما مما لا كسب للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء.

❑ ❑ ❑

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

رابع المسائل فيجب على الداعية أن يصبر لأن سنة الله في خلقه أنه لم يجعل القبول حاصلاً لأفضل الخلق وهم المرسلين بل إن النبي ﷺ أُمر أن يحتذي حذو الصابرين فقال جل وعلا: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ**﴾ فالصبر في غاية المهمات لمن علم فعمل فدعا فإن لم يصبر كان من الذين يستخفهم الذين لايوقنون كما قال جل وعلا: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**﴾ وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من العجله فقال: «**ولكنكم قوم تستعجلون**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٧، ٦٩٢٩)، ومسلم (١٧٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢، ٦٩٤٣)، وأحمد (٢٠٥٦٨، ٢٦٦٧٥).

وهذه المسائل الأربع واجب تعلمها والعمل بها وهي: العلم، والعمل، والدعوة، والصبر. والدليل سورة العصر.

□ □ □

● **قوله: (والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾):**

● الشرح ●

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

قوله: (والدليل): أي على هذه المراتب الأربع قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ أقسم الله عز وجل في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث من خير وشر، فأقسم الله عز وجل به على أن الإنسان كل الإنسان في خسر إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين».

فالله عز وجل أقسم في هذه السورة بالعصر على أن كل إنسان فهو في خيبة وخسر مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة:

أحدها : الإيمان ويشمل كل ما يقرب إلىٰ الله تعالىٰ من اعتقاد صحيح وعلم نافع .

الثاني : العمل الصالح وهو كل قول أو فعل يقرب إلىٰ الله بأن يكون فاعله لله مخلصًا ولمحمد ﷺ متبعًا .

الثالث : التواصي بالحق وهو التواصي علىٰ فعل الخير والحث عليه والترغيب فيه .

الرابع : التواصي بالصبر بأن يوصي بعضهم بعضًا بالصبر علىٰ فعل أوامر الله تعالىٰ ، وترك محارم الله ، وتحمل أقدار الله .

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بهما قوام الأمة وصلاحها ونصرها وحصول الشرف والفضيلة لها : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠]

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ :**

فقوله تعالىٰ : ﴿**وَالْعَصْرِ**﴾ أقسم اللّه جل وعلا بالزمان لشرفه وهو الزمان المطلق والعمر والوقت فأشرف شيء أن أُعطي الإنسان عمرًا وزمانًا فيه يعبد اللَّه ويطعيه فبسببه عبد اللَّه وبسببه شَرُفَ إن كان من أهل الجنة .

وجواب القسم أي لماذا أقسم اللّه بالعصر أي لأي شيء جاء بالقسم فجواب القسم قوله تعالىٰ : ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ فأكد ذلك بـ (إن) وبـ (اللام) ومن المتقرر في علم المعاني من علوم البلاغة أن (إنَّ) و(اللام) من أنواع المؤكدات ، فاجتمع هنا أنواع من المؤكدات :

١ ـ القسم .

٢ ـ مجيء (إن) .

٣ ـ مجيء (اللام) التي تسمىٰ المزحلقة أو المزحلفة مجيئها في خبر (إن).
أهل العلم بالمعاني يقولون: إن مجيء المؤكدات يصلح إذا كان المخاطب منكراً لما اشتمل عليه الكلام، فمثلاً تقول لمن لم يكن عنده الخبر: (فلان قادم) ولا يصلح أن تقول: (إن فلانًا لقادم) وذاك لم ينكر الكلام لكن إن كان منكرًا له أو منزلاً منزلة المنكر له فإنك تؤكد الكلام له لكي يزيد انتباهه ويعظم إقراره بما اشتمل عليه.

وقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ الألف واللام في ﴿**الإِنسَانَ**﴾ بمعنىٰ إن جنس الإنسان في خسر أي في خسارة إلا من استثنىٰ.

وهذا نوع آخر من شد الذهن للانتباه وقبول الكلام، والمعنىٰ: كل الناس في هلاك وخسارة، ثم استثنىٰ فقال: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وهؤلاء الذين استثناهم اللَّه جل وعلا هم أصحاب المسائل الأربع التي ذكرها الشيخ رحمه اللَّه تعالىٰ.

وقوله تعالىٰ: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ والإيمان: قول وعمل واعتقاد وهذا الاعتقاد هو العلم لأن العلم مورده القلب والعقل فأهل العلم ناجون من الخسارة.

وقوله تعالىٰ: ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ فعطف بالواو العمل علىٰ الإيمان وأهل اللغة يقولون: إن الواو تأتي كثيراً للمغايرة، فهل معنىٰ ذلك أن العمل غير الإيمان وأن مسمىٰ الإيمان لايدخل فيه العمل؟!

الجواب: لا! ذلك لأن المغايرة تكون بين حقائق الأشياء وحقيقة الإيمان أكبر من حقيقة العمل لأن العمل جزء من الإيمان وبعض منه وعطف الخاص بعد العام يأتي كثيرًا وكذلك عطف العام بعد الخاص يأتي كثيرًا بالواو، فمثلاً قوله تعالىٰ: ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾ فعطف ﴿**وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾ علىٰ الملائكة وهذا عطف للخاص بعد العام، **إذن لماذا يعطف الخاص بعد العام مع دخول الخاص في العام؟!** لابد أن يكون هناك فائدة **فالفائدة** وهي التنبيه علىٰ أنه في الحكم مثل الأول، ولهذا قال جل وعلا: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

الصَّالِحَاتِ﴾ فلما عطف الخاص على العام دل على ١ - **شرفه وعلى** ٢ - **أنه يُهتم به وعلى** ٣ - **مزيد مكانته وعلى** ٤ - أنه في الحكم مثل الأول.

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يعني: دعا بعضهم بعضًا إلى الحق ودعا بعضهم بعضًا إلى الصبر: وهذه هي المسائل الأربع.

الصبر أقسام ثلاثة:

١ - صبر على الطاعة.

٢ - صبر على المعصية.

٣ - وصبر على أقدار اللّه التي تسر والتي تؤلم.

❑ ❑ ❑

● **قوله: (قَالَ الشَّافعيُّ - رَحِمَهُ الله تَعَالى - : «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلاَّ هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»):**

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

الشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي، ولد في غزة سنة ١٥٠هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ وهو أحد الأئمة الأربعة على الجميع رحمة الله تعالى.

مراده - رحمه الله - أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة.

وقوله: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم» لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلابد أن يسعى إلى تخليص نفسه من

الخسران وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

يعني: لو أنزل اللّه جل وعلا من القرآن حجة على الخلق مع رسول اللّه ﷺ إلا هذه السورة لكفى بها حجة. لم؟ لأنها اشتملت على أن كل الناس آيلون إلى هلاك وخسار إلا أهل هذه الأوصاف وهم أهل الإيمان.

❑ ❑ ❑

● قوله: (**وَقَالَ البُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «بَابُ العِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ». والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾** [سورة محمد:١٩]، **فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ**):

● الشرح ●

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

البخاري هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى في شوال سنة أربع وتسعين ومائة ونشأ يتيمًا في حجر والدته، وتوفي رحمه الله في خَرْتَنْك بلدة على فرسخين من سمرقند ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

استدل البخاري - رحمه الله - بهذه الآية على وجود البداءة بالعلم قبل القول والعمل وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً ثم يعمل ثانيًا، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحًا مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم، ولكن هناك أشياء يعلمها الإنسان

بفطرته كالعلم بأن الله إله واحد فإن هذا قد فطر عليه العبد ولهذا لا يحتاج إلى عناء كبير في التعليم، أما المسائل الجزئية المنتشرة فهي التي تحتاج إلى تعلم وتكريس جهود.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

لماذا ذكر الشيخ هذا؟! وذكر الشيخ ذلك لأن هذه الرسالة رسالة علم كلها شرح للمسألة الأولى وهي العلم، فينبه طالب العلم على أن العلم مهمٌ للغاية حتى إنه يُقدم على القول والعمل فقبل أن يستغفر العبد لابد أن يعلم العلم الواجب عليه وهذا العلم هو الذي ينجي به نفسه بفضل اللّه جل وعلا إذا سئل عن هذه المسائل الثلاث في قبره، فالشيخ يريد أن يبين لك ياطالب العلم أهمية العلم بذكره هذا القول عن البخاري:

ولهذا قال ابن القيم رحمه اللّه تعالى:

والجهلُ داءٌ قاتل ودواؤُه ... أمران في التركيب متفقانِ
علم بأوصاف الإلهِ وفعله ... وكذلك الأسماءُ للديانِ
والأمرُ والنهيُ الذي هو دينه ... وجزاؤُه يومَ المعادِ الثاني
والكلُّ في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوثِ بالفرقانِ
واللّه ما قال امرؤ متحذلق ... بسواهما إلا من الهَذَيَانِ

قال الشيخ رحمه اللّه: (العلم قبل القول والعمل) فالعلم إذا كان قبل القول والعمل بورك لصاحبه في القليل وإن كان القول والعمل قبل العلم وربما كانت الأعمال والأقوال جبالاً ولكنها ليست على سبيل النجاة ولهذا روى الإمام أحمد في الزهد وأبو نعيم وجماعة عن أبي الدرداء أنه قال: (ياحبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم ولمثقال ذرة مع برٍّ ويقين أعظم عند اللّه من أمثال الجبال عبادة من المغترين).

شرح قول أبي الدرداء:

فهو يتمنى نوم الأكياس وهم الذين علموا وقلوبهم صحيحة وهم العقلاء وهم أهل العلم ناموا والحمقى من العباد في صلاة ولكن هؤلاء لايستوون عند أبي الدرداء مع أُولئك لأن أُولئك عبدوا اللّه على جهل وهؤلاء عبدوا اللّه جل وعلا بعبادات قليلة ولكنها مع علم وبصيرة ولكنها أعظم أجراً.

❑ ❑ ❑

[المسائل الثلاث]

● قوله: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ والعَمَلُ بِهِنَّ):

● الشرح ●

● قال الشيخ صالح آل الشيخ:

وهذه مع المسائل الأربع التي سبقت.

❑ ❑ ❑

● قوله: (أنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [سورة المزمل:١٥،١٦]):

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

ودليل ذلك أعني أن الله خلقنا سمعي وعقلي:

أما الدليل السمعي: فكثير ومنه قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[سورة الأنعام:٢] .

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾[سورة الأعراف:١١] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[سورة الحجر:٢٦] .

وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[سورة الروم:٢٠] .

وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[سورة الزمر:٦٢]

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[سورة الصافات:٩٦]

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]

إلى غير ذلك من الآيات.

أما الدليل العقلي: على أن الله خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[سورة الطور:٣٥] فإن الإنسان لم يخلق نفسه لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يُوجِد شيئًا، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد؛ لأن كل حادث لابد له من محدث؛ ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام البديع والتناسق المتآلف يمنع منعًا باتًا أن يكون صدفة. إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره، فتعين بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده فلا خالق ولا آمر إلا الله، قال الله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[سورة الأعراف، الآية: ٥٤]

ولم يعلم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا على وجه المكابرة كما حصل من فرعون، وعندما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ

يقرأ سورة الطور فبلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [سورة الطور:٣٥، ٣٧] وكان جبير بن مطعم يومئذٍ مشركًا فقال: «كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»(١).

أدلة هذه المسألة كثيرة من الكتاب والسنة والعقل.

أما الكتاب: فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة الذاريات:٥٨] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سورة سبأ:٢٤].

وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [سورة يونس:٣١] والآيات في هذا كثيرة.

وأما السنة: فمنها قوله ﷺ في الجنين يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد(٢).

وأما الدليل العقلي على أن الله رزقنا فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والطعام والشراب خلقه الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٦٣-٧٠] ففي هذه الآيات بيان أن رزقنا طعامًا وشرابًا من عند الله عز وجل.

هذا هو الواقع الذي تدل عليه الأدلة السمعية والعقلية:

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٥٨٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٨، ٣٣٣٣)، ومسلم (٢٦٤٥، ٢٦٤٦).

أما السمعية: فمنها قوله تعالىٰ: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾ [سورة المؤمنون:١١٥-١١٦].

وقوله: ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى** ﴾ [سورة القيامة:٣٦-٤٠].

وأما العقل: فلأن وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلىٰ غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل بل هو عبث محض، ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل عليهم الصلاة والسلام ثم تكون النتيجة لا شيء، هذا مستحيل علىٰ حكمة الله عز وجل.

قوله: (**أرسل إلينا رسولاً**): أي أن الله عز وجل أرسل إلينا معشر هذه الأمة أمة محمد ﷺ رسولاً يتلو علينا آيات ربنا، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، كما أرسل إلىٰ من قبلنا، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر:٢٤].

ولابد أن يرسل الله الرسل إلىٰ الخلق لتقوم عليهم الحجة وليعبدوا الله بما يحبه ويرضاه قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [سورة النساء:١٦٣-١٦٥]

ولا يمكن أن نعبد الله بما يرضاه إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم هم الذين بينوا لنا ما يحبه الله ويرضاه، وما يقربنا إليه عزَّ وجلَّ فبذلك كان من حكمة الله أن أرسل إلىٰ الخلق رسلاً مبشرين ومنذرين.

قوله: (الدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [سورة المزمل:١٥-١٦]).

هذا حق مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٢-١٣٣].

ومن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة النساء:١٣].

ومن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة النور:٥٢].

وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء:٦٩].

وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [سورة الأحزاب:٧١].

والآيات في ذلك كثيرة.

ومن قوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» فقيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار» رواه البخاري(١).

هذا أيضًا حق مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة النساء:١٤].

وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٣٦]

وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ [سورة الجن:٢٣].

ومن قوله ﷺ في الحديث السابق: «ومن عصاني دخل النار».

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٨٠).

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ :**

المسألة الأولى :أن اللّٰه جل وعلا خلق الخلق لغاية لم يخلقهم سدىً ولا عبثًا .

قال سبحانه : ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ أي لغير غاية ولغير حكمة وأنه لايكون بعث بعد موتكم ، لذلك قال بعد ذلك : ﴿ **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ** ﴾ أي تعالىٰ عما يصفه الجاهلون .

فالغاية التي خلق اللّٰه الخلق من أجلها هي ما ذكره اللّٰه جل وعلا في قوله تعالىٰ : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾

وهذه الغاية هي الابتلاء والاختبار في عبادة اللّٰه ، هل يُعبد وحده لاشريك له أم يتخذ المخلوق هذا آلهة أُخرىٰ مع اللّٰه جل وعلا ، وهذه مسألة عظيمة .

والإنسان خُلق بلا شك لهذه الغاية ، لكن يحتاج إلىٰ من يرشده إلىٰ هذه الغاية ويبصره بها ويعلمه القصد من خلقه ويعلمه كيف يصل إلىٰ عبادة ربه علىٰ الوجه الذي يرضي اللّٰه جل وعلا به فبعث اللّٰه جل وعلا رسله مبشرين ومنذرين يدلون الخلق علىٰ خالقهم .

قال جل وعلا : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ نذير ينذرهم ويبشرهم .

وقال جل وعلا : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ .

فالرسل عليهم الصلاة والسلام أرشدوا الناس إلىٰ طريق واحدة هي كما جاء في الآية قوله جل وعلا : ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ ولما كان الرسل يدلون علىٰ هذه الطريق قامت العداوة بينهم وبين مبغضيهم من البشر ومن المشركين لأن البشر يريدون أن يعبدوا اللّٰه كما يريدون .

قال أحد السلف: (ليس الشأن أن تُحِبَّ ولكن الشأن بأن تُحَبَّ) لأن محبة اللّه جل وعلا يدعيها المشركون ويدعيها الضالون، فكل قوم بعثت إليهم الرسل يدعون أنهم يحبون اللّه ويريدون وجهه فالشأن أن يحب اللّه عبده، فلا بد أن يبحث العبد عن سبيل محبة اللّه له وهذا السبيل بينه اللّه جل وعلا بقوله: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ أي تحبونه زعمًا فاتبعوني طاعة فسبيل محبة اللّه للعبد هي طاعة الرسل، وقد نسخت جميع الشرائع ولم يبق إلا شريعة نبينا محمد ﷺ إذ هو الواسطة العملية بالاتباع فمن اتبع غيره فقد تنكب الضلال وحاد عن الحق.

وما أحسن قول ابن القيم رحمه اللّه في نونيته بعد أبيات:

فلواحدٍ كن واحداً في واحد ... أعني سبيل الحق والإيمان

(لواحدٍ) أي للّه جل وعلا في عبادته.

(كن واحدًا) أي في قصدك وطلبك وإرادتك وتوجهك.

(في واحدٍ) أي في طريق واحد.

❏ ❏ ❏

● **قوله: (أَنَّ اَلله لاَ يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحدٌ في عِبَادَتِه لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.**

وَالدَّلِيْلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [سورة الجن:١٨]):

● الشرح ●

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

أي المسألة الثانية مما يجب علينا علمه أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن

يشرك في عبادته أحد، بل هو وحده المستحق للعبادة ودليل ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [سورة الجن:١٨] فنهى الله تعالى أن يدعو الإنسان مع الله أحدًا، والله لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعالى وقال الله عز وجل: ﴿**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾ [سورة الزمر:٧]، وقال تعالى: ﴿**فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ [سورة التوبة:٩٦].

فالكفر والشرك لا يرضاه الله سبحانه وتعالى بل إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليهما، قال الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [سورة الأنفال:٣٩] وإذا كان الله لا يرضى بالكفر والشرك فإن الواجب على المؤمن أن لا يرضى بهما، لأن المؤمن رضاه وغضبه تبع رضا الله وغضبه فيغضب لما يغضب الله ويرضى بما يرضاه الله عز وجل، وكذلك إذا كان الله لا يرضى الكفر ولا الشرك فإنه لا يليق بمؤمن أن يرضى بهما. والشرك أمره خطير.

قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [سورة المائدة:٧٢].

وقال النبي ﷺ: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**» (١).

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

المسألة الثانية: فالكل عبيد للَّه جل وعلا فاللَّه جل وعلا إنما يرضى التوحيد يرضى أن يُعبد وحده دونما سواه، فمن أشرك مع اللَّه إلهًا آخر فقد نقض الغاية العملية من خلقه وإيجاده.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٩) من حديث أنس، ورواه مسلم (٩٣) من حديث جابر.

قال جل وعلا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ أي: فلاتدعوا دعاء مسألة ودعاء عبادة مع اللَّه جل وعلا.

المساجد يفعل فيها شيئان الأول: **دعاء المسألة** وهي سؤال اللَّه، والثاني: **عبادة اللَّه جل وعلا** بأنواع العبادات من الصلاة والتلاوة والتعلم ونحو ذلك.

فقوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ أي المساجد أُقيمت للَّه جل وعلا لعبادته وحده دونما سواه وقوله تعالى: ﴿فَلا تَدْعُوا﴾ أي لا دعاء مسألة ولا دعاء عبادة أحدًا غير اللَّه.

● **الفرق بين دعاء المسألة ودعاء العبادة: دعاء المسألة**: وهو الذي يسميه العامة (الدعاء) وهو المقصود به، مثل اللهم أعطني ونحو ذلك.

أما دعاء العبادة: فهو العبادة نفسها لأن المتعبد للَّه جل وعلا بصلاة أو بذكر هو سائل للَّه جل وعلا لأنه عندما صلى أو صام أو ذكر اللَّه رغبة في الأجر فكأنه سأل اللَّه الأجر لذلك الدعاء قسمان، لذلك قال اللَّه جل وعلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فقال في أولها ﴿ادْعُونِي﴾ وقال في آخرها ﴿عِبَادَتِي﴾ فدل على أن الدعاء هو العبادة وفسر السلف قوله تعالى: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الاستجابة هنا بتفسيرين:

١ - بمعنى أعطكم ما سألتم.

٢ - أو أثبكم.

فإذا كانت بالمعنى الثاني فيكون هنا بمعنى العبادة لأنها هي المتعلقة بها الثواب، وإذا كانت الإجابة بمعنى إعطاء السؤال فيكون بمعنى المسألة، وهذه المسألة مقررة تقريراً واضحًا في كتب أهل العلم وهي أن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ أنه يشمل نوعي الدعاء دعاء المسألة ودعاء العبادة، وقد جاء في الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «**الدعاد هو العبادة**» وفي معناه ما جاء عن أنس ﷺ مرفوعًا: «**الدعاء مخ العبادة**»

(وهو ضعيف)[١].

فبعض الناس قد يظن أن بعض المخلوقات لما لها من مكانة عظيمة عند اللَّه توصل إلى اللَّه فيجعلونها وسائط تقربهم إلى اللَّه، فأعظم المخلوقات مقامًا عند الخلق الملائكة والمرسلون ويحسبون أنهم ينفعونهم أو يضرونهم أو يشفعون لهم عند اللَّه، لذلك نفى الشيخ ذلك بقوله: (إن اللَّه لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل).

دليل ذلك: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ **ووجه الاستدلال**: أن (أحدًا) نكرة جاءت في سياق النفي، وقد تقرر أن النكرات في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام فإنها تعم، فيدخل في (أحدًا) الملائكة والأنبياء.

وهذا الأصل يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعرفة علمًا يقينًا لا شك فيه ولا شبهة بدليله وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ فلا يخطر بقلب المسلم أنه يمكن أن يدعو غير اللَّه أو يستغيث بغيره.

مسألة هامة: **وهي أن هناك فرقًا بين النبي والرسول!** فليس كل نبي رسولاً بينما كلُّ رسول نبي، وقول الشيخ هنا: (ولا نبي مرسل) لأن الرسالة أرفع درجة من النبوة، **والفرق بينهما**: أن النبي: هو من أوحي إليه بشرع أو كتاب وأُمر بتبليغه إلى قوم موافقين له، أو لم يؤمر بالتبليغ: بينما الرسول: هو من أُوحي إليه بشرع أو كتاب وأُمر بتبليغه إلى قوم مخالفين. فالنبي مرسل وقد يكون مرسلاً إلى نفسه لكنه ليس بالرسول بالمعنى الأخص، وبهذا يتضح المقام وذلك لقول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ فأثبت أن الرسول مرسل وأن النبي أيضًا يقع عليه الإرسال، فالنبي يؤمر بالتبليغ لمن يوافقه في عقيدته أو في اتباعه لشريعة الرسول الذي قبله مثل

(١) تقدم بيانه.

أنبياء بني إسرائيل، وعلى هذا يحمل تفسير الحديث «والنبي وليس معه أحد»[١] إما لأنه لم يُستجب له وقد يكون لأنه إنما أُمر أو أوحي إليه لنفسه لا لغيره.

❏ ❏ ❏

● قوله: (أنَّ مَنْ أطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة:٢٢]) :

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

أي المسألة الثالثة مما يجب علينا علمه الولاء والبراء، والولاء والبراء أصل عظيم جاءت فيه النصوص الكثيرة قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ [سورة آل عمران:١١٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة:٥١]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٧].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٠٥، ٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[سورة التوبة:٢٣-٢٤] .

وقال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[سورة الممتحنة:٤] الآية.

ولأن موالاة من حاد اللّه ومداراته تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف؛ لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئًا هو عدو لمحبوبه، وموالاة الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتهم تكون بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم فتجده يوادهم أي يطلب ودهم بكل طريق، وهذا لاشك ينافي الإيمان كله أو كماله، فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

المسألة الثالثة: (أن من وحد اللّه وأطاع الرسول واتبع دين الإسلام لا يجوز له أن يوالي من حاد اللّه ورسوله ولو كان أقرب قريب مثل أبيه أو أمه أو قريبه وذلك لقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

فأصل الدين الذي هو من معنى كلمة التوحيد (الولاء والبراء) الولاء للمؤمنين والإيمان والبراءة من المشركين والشرك، لذلك يُعرف المسلمين الإسلام بأنه الاستسلام للَّه بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

تنبيه: الفرق بين قولنا: (الخلوص من الشرك وأهله) وقولنا: (البراءة...) أن البراءة تشمل الخلوص وزيادة وهي الموافقة لقوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

معنى الموالاة: أن تتخذ الكافر وليًّا، وأصلها من الوَلاية والولاية هي المحبة قال جل علا: ﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ يعني: المحبة والمودة والنصرة للَّه الحق.

وأصل الموالاة في القلب وهي محبة الشرك أو محبة أهل الشرك والكفر.

ومعنى الولاء والبراء: هو الحب والبغض وهو بمعنى الموالاة والمعاداة في اللَّه.

فأصل الدين أن تحب كلمة التوحيد وأهلها وتبغض الكفر وأهله، قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ يعني من يحب وينصر اللَّه ورسوله والذين آمنوا.

موالاة المشركين والكفار محرمة وكبيرة من الكبائر وقد تصل بصاحبها إلى الكفر والشرك، ولهذا ضبطها العلماء بأن قالوا: تنقسم الموالاة إلى قسمين:

الفرق بين التولي والموالاة:

الأول: التولي. والثاني: الموالاة.

أما التولي فهو الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ومعناه محبة الشرك وأهله والكفر وأهله أو نصرة الكفار على أهل الإيمان قاصداً ظهور الكفر على أهل الإيمان. وتولي الكفار كفر أكبر وإذا كان من المسلمين فهو ردة.

القسم الثاني: الموالاة وهي محرمة وهي من جنس محبة المشركين الكفار

لأجل دنياهم أو لأجل قراباتهم ونحو ذلك. **وضابطها** أن تكون محبة أهل الشرك لأجل الدنيا ولا تكون معه نصرة وإلا كان من القسم المكفر وهو التولي.

فإن أحب المسلم المشرك لأجل الدنيا وكان معه موالاة فهذا محرم ومعصية وكبيرة من الكبائر وليس كفرًا.

ودليله قوله تعالىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾**.

قال علماؤنا: أثبت اللَّه جل وعلا في هذه الآية أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان اتخاذ المشركين والكفار أولياء بإلقاء المودة لهم كما جاء في الصحيحين في قصة حاطب المعروفة حيث إنه أرسل بخبر رسول اللَّه ﷺ للمشركين لكي يأخذوا حذرهم وهذه عظيمة من العظائم فلما كشف الأمر قال عمر ﵁ للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال النبي ﷺ: «**أتركه يا عمر**» وقال لحاطب: «**ما حملك على هذا؟**» (فدل على اعتبار القصد، لأنه إن كان قصد ظهور الشرك على الإسلام فهذا يكون نفاقًا وكفرًا وإن كان له قصد آخر فله حكمه) قال: يا رسول اللَّه واللَّه ما حملني على هذا محبة الشرك وكراهة الإسلام ولكن ما من أحد من أصحابك إلا وله يد يحمي بها ماله في مكة وليس لي يد أحمي بها مالي في مكة فأردت أن يكون لي بذلك يد أحمي بها مالي في مكة، فقال النبي ﷺ: «**صدقكم**» فاللَّه جل وعلا قال في بيان ما فعل حاطب: **﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** يعني: حاطبًا ففعله ضلال، وما منع النبي ﷺ عمر من أن يقتله إلا أن حاطبًا لم يخرج من الإسلام بما فعل، ولهذا جاء في رواية أخرىٰ: «**إن اللَّه اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(١) قال العلماء: لعلمه جل وعلا أنهم يموتون ويبقون علىٰ الإسلام.

فدل قوله تعالىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾** الآية

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩)، ومسلم (٢٤٩٤).

مع بيان سبب نزولها باسم الإيمان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مع إثباته جل وعلا أنهم ألقوا المودة، لذلك استفاد العلماء من هذه الآية ومن آية سورة المائدة ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ومن آية المجادلة التي ساقها الشيخ ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية إلى أن **الموالاة تنقسم** إلي تولٍّ وموالاة. فالواجب أن يكون المؤمن محبًّا للَّه جل وعلا وللمؤمنين وأن لا يكون في قلبه مودة للكفار ولو كان لأمور الدنيا فيعاملهم معاملة ظاهرة بدون ميل ومحبة القلب لأن المشرك حمل قلبًا فيه مسبة اللَّه جل وعلا ولأن المشرك ساب للَّه جل وعلا بفعله إذا اتخذ مع اللَّه إلهًا آخر، والمؤمن متولٍّ للَّه ولرسوله والذين آمنوا فلا يمكن أن يكون في قلبه موادة لمشرك.

هذه الثلاث مسائل من المهمات العظيمات وهي:

الأولى: أن يعلم المرء الغاية من خلقه وإذا علم الغاية فلابد أن يعرف الطريق الموصلة إلى هذه الغاية.

الثانية: أن اللَّه جل وعلا لايرضى الشرك به حتى بالمقربين عنده وأصحاب المقامات العالية عنده.

الثالثة: أن لايكون في قلب الموحد الذي وحد اللَّه وأطاع الرسول محبة للمشركين.

❑ ❑ ❑

الحنيفية ملة إبراهيم هي التوحيد

●قوله : (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِه : أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات:٥٦] وَمَعنى يَعْبُدُون يُوَحِّدُون، وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه والدليل قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾) :

• الشرح •

●قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

تقدم الكلام على العلم فلا حاجة إلى إعادته هنا.

الرشد: الاستقامة على طريق الحق.

الطاعة: موافقة المراد فعلاً للمأمور وتركًا للمحظور.

الحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله عز وجل. أي طريقه الديني الذي يسير عليه عليه الصلاة والسلام.

إبراهيم: هو خليل الرحمن قال عز وجل: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾[سورة النساء:١٢٥] وهو أبو الأنبياء وقد تكرر ذكر منهجه في مواضع كثيرة للاقتداء به.

قوله: (أن تعبد الله): هذه خبر «أن» في قول «أن الحنيفية» والعبادة بمفهومها العام هي «التذلل لله محبة وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه».

أما المفهوم الخاص للعبادة - يعني تفصيلها - فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلاة والزكاة، والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام».

الإخلاص هو التنقية والمراد به أن يقصد المرء بعبادته وجه الله عز وجل والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلاً.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠-١٣٢].

أي بالحنيفية وهي عبادة الله مخلصًا له الدين أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

وبين الله عز وجل في كتابه أن الخلق إنما خلقوا لهذا فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

يعني التوحيد من معنى العبادة وإلا فقد سبق لك معنى العبادة وعلى أي شيء تطلق وأنها أعم من مجرد التوحيد.

واعلم أن العبادة نوعان:

عبادة كونية: وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم: ٩٣] فهي شاملة للمؤمن والكافر، والبر والفاجر.

والثاني عبادة شرعية: وهي الخضوع لأمر الله تعالىٰ الشرعي وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالىٰ واتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [سورة الفرقان:٦٣]. فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان؛ لأنه بغير فعله لكن قد يحمد علىٰ ما يحصل منه من شكر عند الرخاء وصبر علىٰ البلاء بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه.

التوحيد لغة: مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحدًا وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوىٰ الموحد وإثباته له فمثلاً نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتىٰ يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوىٰ الله تعالىٰ ويثبتها لله وحده.

وفي الاصطلاح: عرفه المؤلف بقوله: «التوحيد هو إفراد الله بالعبادة» أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا، لا تشرك به نبيًّا مرسلاً، ولا ملكًا مقربًا ولا رئيسًا ولا ملكًا ولا أحدًا من الخلق، بل تفرده وحده بالعبادة محبةً وتعظيمًا، ورغبةً، ورهبةً، ومراد الشيخ رحمه الله التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل به الإخلال من أقوامهم.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: «إفراد الله سبحانه وتعالىٰ بما يختص به».

وأنواع التوحيد ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية وهو «إفراد الله سبحانه وتعالىٰ بالخلق، والملك والتدبير» قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر:٦٢].

وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [سورة فاطر:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الملك:١]

وقال تعالىٰ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

الثاني: توحيد الألوهية وهو «إفراد الله سبحانه وتعالىٰ بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدًا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالىٰ ويتقرب إليه».

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو «إفراد الله سبحانه وتعالىٰ بما سمىٰ به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل».

ومراد المؤلف هنا: توحيد الألوهية وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبىٰ نساءهم وذريتهم، وأكثر ما يعالج الرسل أقوامهم علىٰ هذا النوع من التوحيد. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

فالعبادة لا تصح إلا لله عز وجل، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، فلو فرض أن رجلاً يقر إقرارًا كاملاً بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ولكنه يذهب إلىٰ القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قربانًا يتقرب به إليه فإنه مشرك كافر خالد في النار قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة: ٧٢] وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلىٰ الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به.

أعظم ما نهىٰ الله عنه الشرك وذلك لأن أعظم الحقوق حق الله عز وجل فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله عز وجل.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٤٨]

وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [سورة النساء:١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [سورة المائدة:٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء:٤٨].

وقال النبي ﷺ: «**أعظم الذنب أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**». وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»[(١)] وقال النبي ﷺ: «**مَنْ مات وَهُوْ يدعُو من دون لله ندًا دخل النار**» رواه البخاري[(٢)].

واستدل المؤلف رحمه الله تعالىٰ لأمر الله تعالىٰ بالعبادة ونهيه عن الشرك بقوله عز وجل: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [سورة النساء:٣٦] فأمر الله سبحانه وتعالىٰ بعبادته ونهىٰ عن الشرك به، وهذا يتضمن إثبات العبادة له وحده فمن لم يعبد الله فهو كافر مستكبر، ومن عبد الله وعبده معه غيره فهو كافر مشرك، ومن عبد الله وحده فهو مسلم مخلص.

والشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

فالنوع الأول ـ الشرك الأكبر: وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمنًا لخروج الإنسان عن دينه.

النوع الثاني ـ الشرك الأصغر: وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة.

وعلىٰ الإنسان الحذر من الشرك أكبره وأصغره فقد قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا

(١) **صحيح**، تقدم.
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء:٤٨] .

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

ومعنى يعبدون: يوحدوني، وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه والدليل قوله تعالى: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾** .

فقوله: (**اعلم أرشدك الله لطاعته**) هذا فيه تلطف منه رحمه الله حيث دعا للمتعلمين وهذا الذي ينبغي أن يكون مع المتعلمين لأن التلطف والتعامل معهم بأحسن ما يجد المعلم يجعل قلب المتعلم قابلاً للعلم منفتحًا له مقبلاً عليه .

وقوله: (**إن الحنيفية هي ملة إبراهيم**) هي التي أمر الله جل وعلا بها وأمر الناس أن يكونوا عليها، قال جل وعلا: **﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾** وملة إبراهيم: هي التوحيد لأنه هو الذي تركه فيمن بعده حيث قال سبحانه: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾** فهذه الآية قد اشتملت على نفي في الشق الأول وعلى إثبات في الشق الثاني فقوله تعالى: **﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾** فالبراءة: نفي، ثم أثبت فقال: **﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾** فتبرأ من المعبودات المختلفة وأثبت أنه عابد للذي فطره وحده، وهذا هو معنى كلمة التوحيد ولهذا قال جل وعلا بعدها: **﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** يعني لعلهم يرجعون إليها، وعقب إبراهيم عليه السلام: منهم العرب ومنهم أتباع الأنبياء فهو أب للأنبياء ومعنى ذلك أنه أب لأقوام الأنبياء .

فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) معناها ما قاله إبراهيم عليه السلام: **﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾**، **﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾** فـ (لا إله) مشتملة على البراءة من كل إله عُبد و(إلا الله) فيه إثبات لعبادة الله وحده دونما سواه، ولهذا قال العلماء: معنى (لاإله إلا الله) أي لا معبود حق أو بحق إلا الله . وكل المعبودات عبدت بغير حق

قال جل وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فالله وحده هو المعبود بحق وهناك معبودات عبدت بالباطل والبغي. وكلمة التوحيد هي الكلمة التي أبقاها في عقبه وهذا هو مراد الشيخ رحمه الله بما ذكر.

(أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهىٰ عنه الشرك) وذلك: لأن التوحيد هو حق الله جل وعلا ومن أجله بعثت الرسل كما قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ولأن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله وحده فصار الأمر بالتوحيد هو الأمر لهذا المخلوق بأن يعلم وينفذ غاية الله جل وعلا من خلقه، والنهي عن الشرك معناه: النهي عن أن يأخذ المخلوق بفعل يخالف الغاية من خلقه.

❐ ❐ ❐

الأصول الثلاثة

● **قوله: (فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟):**

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

الأصول جمع أصل، وهو ما يبنىٰ عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[سورة إبراهيم: ٢٤].

وهذه الأصول الثلاثة يشير بها المصنف رحمه الله إلىٰ الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

أورد المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسألة بصيغة السؤال وذلك من أجل أن ينتبه الإنسان لها؛ لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة؛ وإنما قال: إن هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها لأنها هي الأصول التي يسأل عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فأقعداه فسألاه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، وأما المرتاب أو المنافق فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته[١].

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

هذا شروع في المقصود من هذا الكتاب وهي الأصول الثلاثة وهي المسائل التي يسأل عنها العبد في قبره والجواب على هذه الأسئلة الثلاثة هو من هذا الموضع إلى آخر الرسالة. فمن كان يعرف هذه الأصول بأدلتها فحري به أنه يثبت عند سؤال الملكين لأنه قد ثبت في الصحيح[٢] أن بعض الناس يقول: «هاء هاء لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته» فاستدل العلماء بقول هذا المفتون في قبره على أن التقليد لا يصلح في جواب هذه المسائل الثلاثة، فإن المسلم إذا عرف هذه المسائل وأجوبتها بأدلتها من القرآن وسمعها ولو مرة واحدة في عمره واعتقدها ومات على ذلك يكون مؤمنًا أي مات على الإيمان لكن استمرار استحضار الدليل والاستدلال لا يشترط لكن الواجب أن يكون العبد في معرفة جواب هذه المسائل الثلاث ولو لمرة واحدة.

❑ ❑ ❑

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٧٥٤)، وأحمد (١٨٠٦٣) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٧٦)، وأحكام الجنائز من حديث البراء بن عازب.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٨٦، ١٨٤، ١٠٥٣، ٧٢٨٧)، ومسلم (٩٠٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

● قوله: (فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ):

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

معرفة الله تكون بأسباب:

منها: النظر والتفكر في مخلوقاته عز وجل؛ فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته، وحكمته، ورحمته.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف:١٨٥]

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سورة سبأ:٤٦]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران:١٩٠]

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس:٦]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:١٦٤]

ومن أسباب معرفة العبد ربه: النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمة التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها، فإذا

نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه عز وجل كما قال الله عز وجل: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ [سورة النساء:٨٢].

ومنها: ما يلقي الله عز وجل في قلب المؤمن من معرفة الله سبحانه وتعالى حتى كأنه يرى ربه رأي العين قال النبي عليه الصلاة والسلام، حين سأله جبريل ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

أي معرفة الأصل الثاني وهو دينه الذي كلف العمل به وما تضمنه من الحكمة والرحمة ومصالح الخلق، ودرء المفاسد عنها، ودين الإسلام من تأمله حق التأمل تأملاً مبنيًّا على الكتاب والسنة عرف أنه دين الحق، وأنه الدين الذي لا تقوم مصالح الخلق إلا به، ولا ينبغي أن نقيس الإسلام بما عليه المسلمون اليوم، فإن المسلمين قد فرطوا في أشياء كثيرة وارتكبوا محاذير عظيمة حتى كأن العائش بينهم في بعض البلاد الإسلامية يعيش في جو غير إسلامي.

والدين الإسلامي ـ بحمد الله تعالى ـ متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة متميز عليها بكونه صالحًا لكل زمان ومكان وأمة، ومعنى كونه صالحًا لكل زمان ومكان وأمة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في زمان ومكان وأمة، فدين الإسلام يأمر بكل عمل صالح وينهى عن كل عمل سيئ، فهو يأمر بكل فاضل، وينهى عن كل خلق سافل.

هذا هو الأصل الثالث وهو معرفة الإنسان نبيه محمداً ﷺ، وتحصل بدراسة حياة النبي ﷺ، وما كان عليه من العبادة، والأخلاق، والدعوة إلى الله عز وجل، والجهاد في سبيله وغير ذلك من جوانب حياته عليه الصلاة والسلام، ولهذا ينبغي لكل إنسان يريد أن يزداد معرفةً بنبيه وإيمانًا به أن يطالع من

(١) صحيح: تقدم.

سيرته ما تيسر في حربه وسلمه، وشدته ورخائه وجميع أحواله نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتبعين لرسوله ﷺ، باطنًا وظاهرًا، وأن يتوفانا على ذلك إنه وليه والقادر عليه.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

فقوله: (معرفة العبد لربه) أي معرفة العبد معبوده لأن الربوبية في هذا المقام يراد بها العبودية لأن الابتلاء بالأنبياء والمرسلين لم يقع في معاني الربوبية وقد قال جل وعلا: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾ (وهذه مقتضيات الربوبية) ﴿**فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**﴾. فالمشركون في كل زمان لم يكونوا ينازعون في توحيد اللَّه جل وعلا في ربوبيته ولهذا فسر العلماء سؤال الملكين: من ربك؟! أي: من معبودك؟! لأن الابتلاء لم يقع في الربوبية.

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الفرق بين الألوهية والربوبية في بعض النصوص؟! فكان من جوابه: هذه مسألة عظيمة وذلك أن الربوبية إذا أفردت فإنه يدخل فيها الألوهية، لأن الربوبية تستلزم الألوهية وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية، والألوهية تتضمن الربوبية: لأن الموحد للَّه جل وعلا في ألوهيته هو مقر ضمنًا بأن اللَّه واحد في عبادته. ولذلك تجد في القرآن أكثر الآيات فيها إلزام المشركين بما أقروا به ألا وهو توحيد الربوبية على ما أنكروه وهو توحيد الألوهية مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ فالفاء في قوله: ﴿**أَفَرَأَيْتُم**﴾: رتبت ما بعدها على ما قبلها وهو توحيد الألوهية على توحيد الربوبية. ولهذا قال جل وعلا: ﴿**وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ ومعنى ﴿**أَرْبَابًا**﴾ أي: معبودين.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: معبودين.

لأن عدي بن حاتم رضي الله عنه لما قال النبي ﷺ: «إنا لم نعبدهم»[1] ففهم من معنىٰ الربوبية في الآية معنىٰ: العبادة، وهذا يفهمه من كان يعرف اللسان العربي. فالربوبية تطلق ويراد بها العبودية في بعض المواضع تارة بالاستلزام وتارة بالقصد. وبعض العلماء قال: إن لفظ الربوبية والألوهية يمكن أن يدخل في الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت والعكس.

وقوله: (**فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ**) والمعرفة ترادف العلم في حق المخلوق في أكثر المواضع، أما في حق اللَّه جل وعلا فإن اللَّه جل وعلا يوصف بالعلم ولا يوصف بالمعرفة وذلك: لأن العلم قد لا يسبقه جهل بينما المعرفة يسبقها جهل فنقول: عرف الشيء بعد جهله به، أيضًا يقال: إن التعبير بالعلم أوجه في المواضع التي يحتاج فيها إلىٰ التعبير بالمعرفة وذلك لأن المعرفة أكثر ما جاءت في القرآن مذمومة لأنه يتبع المعرفة الإنكار، أما العلم فأتىٰ به في القرآن ممدوحًا قال جل وعلا: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فهنا وصفهم بالمعرفة ثم بين أن معرفتهم تلك لم تنفعهم، وقال جل وعلا: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، لكن العلم أثنىٰ عليه القرآن، أما المعرفة فأكثر المواضع فيها ذم لها لكن هذا ليس علىٰ إطلاقه فقد جاء في صحيح مسلم في بعض طرق الحديث: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يعرفوا اللَّه فإن هم عرفوا اللَّه ....**»[2] بمعنىٰ أن يوحده،

---

(١) رواه الترمذي (٣١٩٥)، والطبري (١٠/ ١١٤)، والبيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ١١٦)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٢)، وقال الترمذي: «. . . وغطيف - أحد رواته - ليس بمعروف في الحديث» والحديث حسنه الألباني رحمه الله بشواهده.

(٢) **صحيح**: مسلم (١٩).

واستعمال الشيخ لهذا استعمال صحيح.

بدأ الشيخ بشرح الأصول الثلاثة على طريقة السؤال والجواب ليكون ذلك أوقع في النفس.

❑ ❑ ❑

الأصل الأول: معرفة الرب

● **قوله: (فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه. والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وكل ما سوى الله عالمٌ وأنا واحدٌ من ذلك العالم):**

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

أي من هو ربك الذي خلقك، وأمدك، وأعدك، ورزقك.

التربية هي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربَّى، ويشعر كلام المؤلف رحمه الله أن الرب مأخوذ من التربية لأنه قال: «**الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه**» فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له، وأمدهم برزقه.

قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون: ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ [سورة طه:٤٩، ٥٠].

فكل أحد من العالمين قد رباه الله عز وجل بنعمه.

ونعم الله عز وجل على عباده كثيرة لا يمكن حصرها قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ [سورة النحل:١٨] فالله هو الذي خلقك وأعدك، وأمدك، ورزقك فهو وحده المستحق للعبادة.

قوله: (وهو معبودي) أي هو الذي أعبده وأتذلل له خضوعًا ومحبة وتعظيمًا، أفعل ما يأمرني به، وأترك ما ينهاني عنه، فليس لي أحد أعبده سوى الله عز وجل.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥]

استدل المؤلف رحمه الله على كونه سبحانه وتعالى مربيًا لجميع الخلق بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٢] يعني الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالى وحده.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مربيهم بالنعم وخالقهم ومالكهم، والمدبر لهم كما شاء عز وجل.

والعالم كل من سوى الله، وسموا عالمًا لأنهم علم على خالقهم ومالكهم ومدبرهم ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد. وأنا المجيب بهذا واحد من ذلك العالم، وإذا كان ربي أوجب عليَّ أن أعبده وحده.

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

لفظ الربوبية فيه معنى: التربية وهي: تدرج المربي في مصاعد الكمال وكل كمال بحسبه. وأعظم أنواع التربية التي ربى اللّه جل وعلا بها الناس: أن بعث إليهم الرسل ليعلموهم وعرفهم بعبادة اللّه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وهناك أنواع كثيرة من التربية وكل تلك الأنواع منٌّ اللّه عز وجل بها على خلقه وكذلك خلق اللّه الواسع، وكذلك التربية بالنعم وتدرج المخلوقين في

مدارج الكمال.

والربوبية لها معنىً آخر: وهي اعتقاد أن اللَّه جل وعلا هو الخالق لهذا الخلق وهو الرزاق والمدبر وذو الملك وغير ذلك.

قال جل وعلا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ معنى (الحمد): كل حمد لأن (أل) للاستغراق أي استغراق أنواع الحمد، فكل حمد موجود أو وجد أو يوجد هو للَّه، والحمد معناه: الثناء بصفات الكمال للَّه عز وجل. و(اللام) هنا للاستحقاق يعني: مستحقًّا للَّه جل وعلا، والمعنى: كل أنواع الحمد وجميع أنواع المحامد مستحقة للَّه.

فائدة:

١ - **(اللام) تارة تكون للملك** وهذا إذا كان ما قبلها من الأعيان.

٢ - **وتارة تكون للاستحقاق** وذلك إذا كان ما قبلها من المعاني.

مثل: الدار لفلان أي ملك له، وإذا كانت معنىً مثل: الفَخر لفلان أي الفخر مستحق لفلان.

(الحمد للَّه): فالحمد معنىً لهذا صارت اللام بعده للاستحقاق فكل حمد مستحق للَّه عز وجل. (للَّه): الإله الذي لا يعبد بحق إلا هو، هذا الإله نعته أنه (رب العالمين): جميع عالم وهو اسم لأجناس ما يعلم وهو كل ماسوىٰ اللَّه جل وعلا، كما قال الشيخ رحمه اللَّه: (العالَمين): جمع عالَم من جميع الأجناس المختلفة.

❑ ❑ ❑

● قوله: (فإذا قيل ذلك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع، ومن فيهن وما بينهما.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

والرب هو: المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة):

● الشرح ●

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

أي إذا قيل لك: بأي شيء عرفت الله عز وجل؟ فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته.

الآيات: جمع آية وهي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه.

وآيات الله تعالى نوعان: كونية وشرعية.

فالكونية هي المخلوقات، **والشرعية** هي الوحي الذي أنزله الله على رسله، وعلى هذا يكون قول المؤلف رحمه الله «بآياته ومخلوقاته» من باب عطف

الخاص على العام إذا فسرنا الآيات بأنها الآيات الكونية والشرعية، أو من باب عطف المباين المغاير إذا خصصنا الآيات بالآيات الشرعية. وعلىٰ كل فالله عز وجل يُعرَف بآياته الكونية وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ الحكمة، وكذلك يُعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل، والاشتمال على المصالح، ودفع المفاسد.

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

كل هذه من آيات الله الدالة على كمال القدرة، وكمال الحكمة، وكمال الرحمة.

فالشمس آية من آيات الله عز وجل لكونها تسير سيراً منتظمًا بديعًا منذ خلقها الله عز وجل وإلى أن يأذن الله تعالى بخراب العالم، فهي تسير لمستقر لها كما قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[سورة يس:٣٨].

وهي من آيات الله تعالى بحجمها وآثارها، أما حجمها فعظيم كبير، وأما آثارها فما يحصل منها من المنافع للأجسام والأشجار والأنهار والبحار وغير ذلك، فإذا نظرنا إلى الشمس هذه الآية العظيمة ما مدى البعد الذي بيننا وبينها ومع ذلك فإننا نجد حرارتها هذه الحرارة العظيمة، ثم انظر ماذا يحدث فيها من الإضاءة العظيمة التي يحصل بها توفير أموال كثيرة على الناس فإن الناس في النهار يستغنون عن كل إضاءة ويحصل بها مصلحة كبيرة للناس من توفير أموالهم ويعد هذا من الآيات التي لا ندرك إلا اليسير منها.

كذلك القمر من آيات الله عز وجل حيث قدره منازل لكل ليلة منزلة ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾[سورة يس:٣٩] فهو يبدو صغيراً ثم يكبر رويداً رويداً حتى يكمل ثم يعود إلى النقص، وهو يشبه الإنسان حيث أنه

يخلق من ضعف ثم لا يزال يترقىٰ من قوة إلىٰ قوة حتىٰ يعود إلىٰ الضعف مرة أخرىٰ فتبارك الله أحسن الخالقين.

والدليل علىٰ أن الليل والنهار، والشمس والقمر من آيات الله عز وجل قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ . . . إلخ أي من العلامات البينة المبينة لمدلولها الليل والنهار في ذاتهما واختلافهما، وما أودع الله فيهما من مصالح العباد وتقلبات أحوالهم، وكذلك الشمس والقمر في ذاتهما وسيرهما وانتظامهما وما يحصل بذلك من مصالح العباد ودفع مضارهم.

ثم نهىٰ الله تعالىٰ العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغًا عظيمًا في نفوسهم لأنهما لا يستحقان العبادة لكونهما مخلوقين، وإنما المستحق للعبادة هو الله تعالىٰ الذي خلقهن.

ومن الأدلة علىٰ أن الله خلق السموات والأرض قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الآية وفيها من آيات الله:

أولاً: إن الله خلق هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام ولو شاء لخلقها بلحظة ولكنه ربط المسببات بأسبابها كما تقتضيه حكمته.

ثانيًا: أنه استوىٰ علىٰ العرش أي علا عليه علوًّا خاصًّا به كما يليق بجلاله وعظمته وهذا عنوان كمال الملك والسلطان.

ثالثًا: أنه يغشي الليل والنهار أن يجعل الليل غشاء للنهار، أي غطاء له فهو كالثوب يسدل علىٰ ضوء النهار فيغطيه.

رابعًا: أنه جعل الشمس والقمر والنجوم مذللات بأمره جل سلطانه يأمرهن بما يشاء لمصلحة العباد.

خامسًا: عموم ملكه وتمام سلطانه حيث كأن له الخلق والأمر لا لغيره.

سادسًا: عموم ربوبيته للعالمين كلهم.

يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

فالرب هو المعبود أي هو الذي يستحق أن يعبد، أو هو الذي يعبد لاستحقاقه للعبادة، وليس المعنى أن كل من عبد فهو رب فالآلهة التي تعبد من دون الله واتخذها عابدوها أربابًا من دون الله ليست أربابًا.

والرب هو: الخالق، المالك، المدبر لجميع الأمور.

(والدليل): أي الدليل على أن الرب هو المستحق للعبادة.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: النداء موجه لجميع الناس من بني آدم أمرهم الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له فلا يجعلوا له أندادًا، ويبين أنه إنما استحق العبادة لكونه هو الخالق وحده لا شريك له.

قوله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: هذه صفة كاشفة تعلل ما سبق أي اعبدوه لأنه ربكم الذي خلقكم فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزامًا عليكم أن تعبدوه، ولهذا نقول يلزم كل من أقر بربوبية الله أن يعبده وحده وإلا كان متناقضًا.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أي من أجل أن تحصلوا على التقوى، والتقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله عز وجل باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

قوله: ﴿الأَرْضَ فِرَاشًا﴾: أي جعلها فراشًا ومهادًا نستمتع فيها من غير مشقة ولا تعب كما ينام الإنسان على فراشه.

قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: أي فوقنا لأن البناء يصير فوق، فالسماء بناء لأهل الأرض وهي سقف محفوظ كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٣٢].

قوله: ﴿ **وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ** ﴾: أي أنزل من العلو من السحاب ماءً طهورًا كما قال تعالىٰ: ﴿ **لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ** ﴾ [سورة النحل: ١٠].

قوله: ﴿ **رِزْقًا لَّكُمْ** ﴾: أي عطاءً لكم وفي آية أخرىٰ: ﴿ **مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ﴾ [سورة النازعات: ٣٣].

قوله: ﴿ **فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا** ﴾: أي لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم، وخلق الذين من قبلكم، وجعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناء، وأنزل لكم من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم لا تجعلوا له أندادًا تعبدونها كما تعبدون الله، أو تحبونها كما تحبون الله فإن ذلك غير لائق بكم لا عقلاً ولا شرعًا.

قوله: ﴿ **وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾: أي تعلمون أنه لا ند له وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير فلا تجعلوا له شريكًا في العبادة.

هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الحافظ المشهور صاحب التفسير والتاريخ من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

فالربوبية تحتاج إلىٰ معرفة وإلىٰ علم وهذا العلم جاء في القرآن الدلالة عليه قال سبحانه: ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ وقال سبحانه: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾ فالدعوة إلىٰ النظر في الملكوت موجودة في القرآن. (ومن آياته . . .) فالليل والنهار والشمس والقمر هي من آيات اللَّه كما قال أبو العتاهية:

وفي كل شئ له آية تدل على أنه واحد

والشيخ فرق بين الآيات والمخلوقات مع أن في القرآن ماثبت أن السموات والأرض من الآيات **فلم فرق بينهما ؟**

الجواب: أن تفريق الشيخ بينهما دقيق جداً وذلك: أن الآيات جمع آية والآية هي: البينة الواضحة الدالة على المراد: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: لدلالة بينة واضحة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ يعني: دلالات واضحات. لأن كون الليل والنهار والشمس والقمر آية أظهر منه عند هذا المجيب من السموات والأرض لأن تلكم الأشياء التي وصفت بأنها آيات متغيرة ومتقلبة تذهب وتجيء، أما السماء فهو يصبح وهو يرى السماء والأرض فهو ألف السماء والأرض فإلفه لها يحجب عنه كونها آيات، لكن تلك الآيات التي تظهر وتغيب أظهر في كونها آيات، ولهذا إبراهيم عليه السلام طلب الاستدلال بالمتغيرات فهو استدل بهذا المتغير على أنه آية لغيره. فالشمس والقمر والليل النهار آيات على الربوبية لأنها متغيرات تقبل وتذهب ولا يمكن أن تأتي بنفسها لكن الأرض والسموات ثابتة يُنظر إلى هذه وهذه وتلك متغيرات والتغير يثير السؤال لم ذهب ولم جاء؟ وهكذا . . . فهي في الدلالةأكثر من دلالة المخلوقات مع أن في الجميع دلالات. لذلك قال: (فإن قيل ذلك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته) فالآيات تدل على معرفة اللّه والعلم به، وكذلك المخلوقات لكن الآيات أخص من المخلوقات وهذا جواب اعتراض قد اعترضه بعضهم على الشيخ لتفريقه بينهما.

قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾) فهي من الآيات الدالة على أن هذه الأشياء مفعول بها وإذا كان مفعولاً بها فمن الذي فعله؟! فالجواب سهل لكل ناظر وهو: أن هذه تدل على أنها محدَثة ولابد لها من محدث وهو اللّه سبحانه، لذلك قال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أي: يدخله فيه ويطلبه طلبًا حاثًا.

ثم ذكر أن معنى الربوبية هو العبادة والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وهو أول أمر في القرآن الكريم وهو الأمر بعبادة اللّه. فالرب وقعت عليه العبادة لأنه مفعول به، فتلخص من ذلك أن الرب هو المعبود وقوله ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾ إلىٰ آخر الآيات جاء تعليلاً لما سبق وهو أنه لِمَ كان مستحقًّا للعبادة؟! لأنه هو وحده الذي خلق ورزق وجعل الأرض فراشًا وغير ذلك والخلق جميعًا لم يفعلوا شيئًا من ذلك لذلك كان هو وحده المستحق للعبادة.

س: ما الفرق بين الحمد والشكر؟!

ج: هناك فروق كثيرة لكن الذي يضبطها أن الحمد: هو الثناء باللسان والثناء علىٰ كل جميل.

وأما الشكر: فمورده اللسان والعمل، فلا يقال: فلان حَمِدَ اللّه جل وعلا بفعله بل لابد أن يكون الحمد باللسان، لكن الشكر يمكن أن يكون باللسان ويمكن أن يكون بالعمل.

قال جل وعلا: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾.

فمن حيث المورد: الشكر أعمُّ من الحمد لأنه يشمل المدح والثناء باللسان وبالعمل والحمد أخص لأنه لايكون إلا باللسان.

ومن حيث ما يحمد عليه أو ما يثنىٰ عليه وما يمدح فإن الحمد أعم.

وهذا من الأشياء التي يقول فيها العلماء: إن بينهما عمومًا وخصوصًا فيجمعان في شيء ويفترقان في شيء آخر.

❑ ❑ ❑

أنواع العبادة التي أمر الله بها

● قـوله: (وأنواع العـبـادة التي أمـر اللّه بهـا مـثـل الإسـلام والإيمان والإحسان؛ ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة؟ والاستعاذة والاستغاثة والذبح، والنذر؛ وغير ذلك من العبادة التي أمر اللّه بها.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾):

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

لما بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له، بين فيما يأتي شيئًا من أنواع العبادة فقال: وأنواع العبادة مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وهذه الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان هي الدين كما جاء ذلك فيما رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من**

السائل. قال فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبثت مليًّا ثم قال لي يا عمر: أتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(١)فجعل النبي ﷺ هذه الأشياء هي الدين وذلك أنها متضمنة للدين كله.

أي كل أنواع العبادة مما ذكر وغيره لله وحده لا شريك له فلا يحل صرفها لغير الله تعالى.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

العبادة عرفت بعدة تعريفات فمنها: أن العبادة هي: كل أمر به من غير اقتضاء عقلي ولااضطراد عرفي. (وهذا هو تعريف الأصوليين) ومعنى ذلك: أن الشيء الذي أمر به من غير أن يقتضي العقل المجرد الأمر به ومن غير أن يضطرد به عرف هذا هو العبادة. يفسر ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة كتابه (العبودية): **بأن العبادة: هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة**. وهذا التعريف مناسب لأنه أيسر في الفهم أولاً ولأنه قريب المأخذ من النصوص.

فقوله (اسم جامع): أي جامع لكل ما يحبه والله ويرضاه، ولمعرفة ما يحبه الله يحبه ويرضاه لا بد أن يكون مأموراً به أو مخبراً عنه بأن الله جل وعلا يحبه ويرضاه.

وقوله: (من الأقوال والأعمال): فالعبادات تنقسم إلى قول وعمل وعبادات عملية.

وقوله (الظاهرة والباطنة): فقد يكون باللسان وقد يكون بالجنان، فالقول باللسان من أمثلته: الذكر والتلاوة والأمر بالمعروف ونحو ذلك.

وقول القلب هو: نيته وقصده وليس التلفظ بها لأن الكلام من صفات اللسان.

---

(١) **صحيح**: تقدم.

فالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ذكر هذه الأنواع من العبادات فبعضها من الأقوال وبعضها من الأعمال وقد تكون ظاهرة وقد تكون باطنة، وبعضها لساني وبعضها قلبي وبعضها من عمل الجوارح.

فمثلاً: الإخلاص من عمل القلب وكذلك التوكل فلا يصلح الإخلاص إلا لله جل وعلا كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

وقال سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾.

وكذلك الخوف الذي هو خوف العبادة والرغبة والرهبة والإنابة والخضوع والذل كلها من أعمال القلب.

الأعمال الظاهرة مثل الاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر كلها من أعمال الجوارح.

فأراد الشيخ رحمه الله أن يشمل تمثيله أقسام العبادات جميعًا وهي لا تصلح إلا لله عز وجل فمن صرف شيئًا منها لغير الله فقد توجه بالعبادة لغير الله منافيًا لإقراره بقوله: (ربي الله) ومنافيًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وذلك هو الشرك والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

قوله: ﴿فَلا تَدْعُوا﴾ الدعاء: هو العبادة كما جاء في الحديث: «الدعاء مخ العبادة» واسناده فيه ضعف وهو بمعنى الحديث الصحيح: «الدعاء هو العبادة».

الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء المسألة ودعاء العبادة: فقوله: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي: لاتعبدوا مع الله أحدًا وهذا نهي أن يعبد الناس أحدًا مع الله جل وعلا. وإذا كان الدعاء هذا بمعنى دعاء المسألة فيكون معنى الآية أي: لاتسألوا مع الله أحدًا، فلا تطلبوا طلب عبادة مع الله أحدًا واللفظ يشمل المعنيين.

فهذه الآية دليل على وجوب إفراد الله بالعبادة. ولفظ ﴿تَدْعُوا﴾ يشمل المعنيين.

فإن قال قائل: إن الذبح والنذر وغير ذلك لا تدخل في معنى الآية لأن الآية

جاءت بمعنى المسألة؟

فنقول: إن الدعاء في القرآن جاء بمعنيين:

١ - جاء ويراد به العبادة.

٢ - المسألة.

فالأول مثل الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فظاهره أن الدعاء بمعنى العبادة.

وقوله في الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ فوضحت معنى الآية التي قبلها، فالقرآن يأتي بالمعنيين كليهما في كل القرآن.

فتحديده في هذه الآية بأحد النوعين فيه تحكم في النصوص ودلالاتها وهذا ممتنع.

❑ ❑ ❑

● قوله: (فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة»[1].

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾):

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى جملة من أنواع العبادة وذكر أن من صرف منها

(١) تقديم أنه ضعيف بهذا وثبت بلفظ: «الدعاء هو العبادة».

شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وبقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

ووجه الدلالة من الآية الأولىٰ أن الله تعالىٰ أخبر أن المساجد هي مواضع السجود أو أعضاء السجود لله ورتب علىٰ ذلك قوله: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي لا تعبدوا معه غيره فتسجدوا له.

ووجه الدلالة من الآية الثانية بأن الله سبحانه وتعالىٰ بين أن من يدعو مع الله إلهًا آخر فإنه كافر لأنه قال: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ وفي قوله ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ إشارة إلىٰ أنه لا يمكن أن يكون برهان علىٰ تعدد الآلهة فهذه الصفة ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة مبينة للأمر وليست صفة مقيدة تخرج ما فيه برهان لأنه لا يمكن أن يكون برهان علىٰ أن مع الله إلهًا آخر.

هذا شروع من المؤلف رحمه الله تعالىٰ في أدلة أنواع العبادة التي ذكرها في قوله: «**وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء ...**» إلخ، فبدأ رحمه الله بذكر الأدلة علىٰ الدعاء وسيأتي إن شاء الله تفصيل أدلة الإسلام والإيمان والإحسان.

واستدل المؤلف رحمه الله بما يروىٰ عن النبي ﷺ، أنه قال «**الدعاء مخ العبادة**».

واستدل كذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

فدلت الآية الكريمة علىٰ أن الدعاء من العبادة ولولا ذلك ما صح أن يقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر

سواءً كان المدعو حيًّا أو ميتًا.

ومن دعا حيًّا بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، يا فلان اسقني فلا شيء فيه، ومن دعا ميتًا أو غائبًا بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفًا في الكون فيكون بذلك مشركًا.

واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة: هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة.

ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق في قول القائل: يا فلان أطعمني.

وأما دعاء العبادة: فأن يتعبد به للمدعو طلبًا لثوابه وخوفًا من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[سورة غافر: ٦٠].

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

فقوله: (فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر) أي من توجه بشيء من هذه العبادات لغير الله فهو مشرك كافر أي الشرك الأكبر المخرج من الملة وحقيقة الشرك اتخاذ الند مع الله تعالى.

والتنديد: أن يُجعل مع الله شريك وند في استحقاق العبادة، وصاحبه كافر إما كفرًا ظاهرًا أو ظاهرًا وباطنًا معًا.

قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ**﴾ وهذا بيان لحقيقة من

يدعو غير اللّه جل وعلا فهذا الإله الآخر منعوت بأنه لابرهان له بما فعل ولا د!
وإنما فعل ذلك بهواه وبتعديه.

وقوله: ﴿**لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ**﴾ ليس معناه: أن هناك دعوة مع اللّه عليها برهان وإنما كل دعوة لغير اللّه جل وعلا كفر ما جاء في آخر هذه الآية: ﴿**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾ فدل على أن دعاء غير اللّه كما أنه شرك فهو كفر كذلك.

الشرك أقسام:

والعلماء يقسمون الشرك إلى أقسام فتارة يقسمونه إلى **شرك ظاهر وشرك خفي** وتارة يقسمونه إلى شرك أصغر **وشرك أكبر** وتارة يقسمونه إلى **شرك أصغر أو أكبر وخفي**. وكلها تلتقي في معنى واحد باعتبارات مختلفة.

والأوضح أن يقسم الشرك إلى ثلاثة:

١ ـ أكبر.

٢ ـ وأصغر.

٣ ـ وخفي.

وكلها محصلها واحد والتقسيم باعتبارات وتلتقي في النتيجة، ومراد الشيخ هنا يعني الشرك الأكبر، فكل شيء صح عليه قيد العبادة فإن صرفه لغير اللّه يعني التعبد به لغير اللّه هذا كفر مثل دعاء الموتى ونداء الغائبين أو خوف السر ونحوها كلها من توجه بشيء منها لغير اللّه فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وقوله ﴿وَمَن يَدْعُ﴾ الدعاء هنا يشمل المعنيين دعاء المسألة ودعاء العبادة ولا يجوز حمل النص على أحدهما فقط دون الآخر لأن هذا تحكم بلا دليل.

الأدلة على هذه المسائل نوعين:

١ ـ أدلة يثبت فيها كون الخوف والرجاء ونحوهما من العبادة وهي أدلة عامة فهو متركب من شيئين: كون هذه المسألة من العبادة فإذا صح الاستدلال عليها

استدللت على أنها لا تجوز إلا لله.

٢ - أدلة خاصة في كل مسألة.

ومما يتنبه له طالب العلم: تنويع الأدلة للقبوريين ونحوهم في قيام المحجة عليهم لتكون الحجة أقوى عليهم.

❑ ❑ ❑

● قوله: (ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾):

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

الخوف هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

والخوف ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [سورة القصص: ١٨].

لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رحمه الله سببًا لترك واجب أو فعل محرم كان حرامًا؛ لأن ما كان سببًا لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليل قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥].

والخوف من الله تعالى يكون محمودًا، ويكون غير محمود.

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن

وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه.

النوع الثاني: خوف العبادة أن يخاف أحدًا يتعبد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

النوع الثالث: خوف السر كأن يخاف صاحب القبر أو وليًا بعيدًا عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سرٍّ فهذا أيضًا ذكره العلماء من الشرك.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ**:

أي دليل كون الخوف عبادة، في هذا الدليل: أن الخوف من غير اللّه منهي عنه، وأُمر بالخوف من اللّه فدل على أن الخوف منه محبوب للّه تعالى مرضي عنه فيصدق عليه تعريف شيخ الإسلام للعبادة.

وفي هذه الآية دليل من النوع الثاني وهو أن الخوف يجب أن يفرد به اللّه عز وجل، فجعل حصول الإيمان مشروطًا بالخوف منه ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

والخوف الذي يجب إفراد اللّه جل وعلا به هو نوع من أنواع الخوف هو خوف السر وهو: أن يخاف غير اللّه جل وعلا فيما لا يقدر عليه إلا اللّه سبحانه فإن اللّه بيده ملكوت كل شيء وتصريف أمر عباده من موت ومرض ومصائب ونحوها فيجب الخوف من اللّه عز وجل أن يصيبه بشيء من العذاب في الدنيا أو بشيء من المصائب والمشركون يخافون آلهتهم خوف السر أن يصيبهم ذلك الإله أو الولي أو السيد كما يصيبهم اللّه جل وعلا.

وتوضيح ذلك أن عباد القبور والأضرحة والأولياء يخافون من الولي أن يصيبهم بشيء إذا تنقص ذلك الولي.

قال إبراهيم عليه السلام فيما حكاه اللّه عنه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا

تَخَافُونَ﴾.

وقال جل وعلا عن قوم هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فهم خافوا الآلهة أن تصيبه بسوء وبمصيبة.

فهذا النوع من الخوف الذي إذا صرف لغير اللَّه فهو شرك أكبر.

وهناك أنواع أخرىٰ من الخوف وهو الخوف الطبيعي كالخوف من السبع والخوف من العدو ونحوه.

وهناك خوف محرم: وهو أن يخاف من الخلق في أداء واجب من واجبات اللَّه في أداء الصلاة، يخاف أن يعاب إذا قام للصلاة من مجلس فيه ناس كثيرون وفي مثله قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

فتلخص أن الخوف ثلاثة أقسام:

١ - شرك أكبر: وهو خوف السر أن يخاف غير اللَّه فيما لايقدر عليه إلا اللَّه.

٢ - محرم: وهو الخوف من الخلق في أداء واجب من الواجبات، كأن لا يأمر بالمعروف ولاينهي عن المنكر وهو يقدر خوفًا من الناس.

٣ - جائز: وهو الخوف الطبيعي، كالخوف من الأسد والعدو والسلطان الجائر ونحوه.

❑ ❑ ❑

قوله: (ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾).

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب.

والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي. وقد استدل المؤلف بقوله تعالى: **﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾**.

واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

الرجاء عبادة قلبية حقيقتها: الرغبة والطمع في الحصول على شيء مرجو.

والرجاء على قسمين:

الأول: فإن كان الرجاء لشيء ممن يملك ذلك الشيء فإن هذا (رجاء طبيعي) كقولك: (أرجو أن تحضر ونحوها) فهذا ليس هو رجاء العبادة.

الثاني: أن يطمع في شيء لا يملكه إلا اللّه جل وعلا (يرجو أن يشفى يرجو أن يدخل الجنة يرجو أن لايصاب بمصيبة ونحوه) فهذه أنواع لا يمكن أن تطلب إلا من اللّه وهذا (رجاء العبادة). فالآية فيها مدح من رجى هذا الشيء وأنه مرضي عند اللّه فيصدق عليها اسم العبادة.

قوله: **﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾** فُسر اللقاء: بالملاقاة، وفُسر بالرؤية ولقائه

وهما تفسيران مشهوران عن السلف.

□ □ □

قوله: (ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾).

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

التوكل على الشيء الاعتماد عليه. والتوكل على الله تعالى: الاعتماد على الله تعالى كفاية وحسبًا في جلب المنافع ودفع المضار وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وإذا صدق العبد في اعتماده على الله تعالى كفاه الله تعالى ما أهمه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه ثم طمأن المتوكل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [سورة الطلاق: ٣] فلا يعجزه شيء أراده.

واعلم أن التوكل أنواع:

الأول: التوكل على الله تعالى وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.

الثاني: توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفًا سريًا في الكون، ولا فرق بين أن يكون نبيًا، أو وليًا، أو طاغوتًا عدوًا لله تعالى.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه

على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.

الرابع: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ**﴾ [سورة يوسف:٨٧] ووكل النبي ﷺ، على الصدقة عمالاً وحفاظًا، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقي من المائة بعد أن نحر ﷺ بيده ثلاثًا وستين [١].

وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ**:

التوكل من العبادات القلبية، حقيقته: أنه يجمع شيئين:

الأول: تفويض الأمر للَّه جل وعلا.

الثاني: عدم رؤية السبب بعد علمه. فهذان الشيئان هما قلبيان فالعبد إذا عمل السبب لا يلتفت إليه فإن لم يحصل المراد به وحده فهناك ثلاثة أشياء تحصل بها المرادات:

١ ـ السبب فنعلم أن هذا السبب يحصل به النتيجة.

٢ ـ صلاحية المحل للأمر المراد.

٣ ـ خلو الأمر أو المحل من الأمر المضاد له.

مثاله: الدواء، فالنبي ﷺ أمر بالدواء فقال: «**تداووا عباد اللّه**» [٢] فالمسلم

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٤٣٦)، و أحمد (١٧٩٨٧)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٣٠، ٣٩٧٣، ٧٩٣٤).

الموحد يتناول الدواء باعتباره سببًا للشفاء لكنه ليس علة وحيدة فلايحصل الشفاء به وحده بل لابد من أمور تكون معه منها :

١ ـأن يكون محل دخول الدواء صالحًا لقبول ذلك الدواء .

٢ ـومنها أن يكون الدواء خاليًا من المعارض له فقد يكون البدن مفسدًا له .

٣ ـومنها وهو الأعظم أن يأذن اللَّه جل وعلا بأن يكون السبب مؤثرًا منتجًا للمسبَّب .

وهذا يعطيك أن السبب غير كاف في حصول المراد فلا يجوز للعبد أن يتخلىٰ عن بذل السبب ولا أن يعتمد عليه ، لذلك قال علماء التوحيد من السلف ومن بعدهم : الالتفات إلىٰ الأسباب قدح في التوحيد ومحو الأسباب بأن تكون أسبابًا قدح في العقل . بما سبق يتبين أن التوكل عبادة قلبية لذلك فصرفه لغير اللَّه جل وعلا شرك بمعنىٰ : أن يفوض الأمر لغير اللَّه جل وعلا ، كما قال بعض مشايخ لمريده : إذا أصبت بمصيبة فاذكرني فإني أخلصك منها وهذا هو حقيقة ما يفعله المشركون .

ودليل التوكل :﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فهو مأمور به فهي عبادة .

ثم في الآية : أنه جعل التوكل شرطًا في الإيمان فلا يحصل إلا به . وفيها : تقديم الجار والمجرور ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والقصر أو يفيد الاختصاص وهذا يفيدهما معًا والمعنىٰ : واحصروا وأقصروا وخصوا التوكل للَّه .

وهناك شيء آخر ليس من توكل العبادة وهو : التوكيل وهذا من باب الوكالة وهو باب آخر .

والفرق بينهما : أن الوكالة فيها شيء ظاهر والتوكل عمل قلبي .

قوله: (ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ الآية):

• الشرح •

• قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

الرغبة: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل.

الخشوع: الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.

في هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى الخلص من عباده بأنهم يدعون الله تعالى رغبًا ورهبًا مع الخشوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطمعًا في ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم، والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها، ويغلب الخوف إذا هَمَّ بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل، وفي حال الصحة يكون نشيطًا مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحدًا سواء يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله، والخوف على اليأس من رحمة الله وكلاهما قبيح مهلك لصاحبه.

الخشية هي: الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [سورة فاطر: ٢٨] أي العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهي أخص من الخوف، ويتضح الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية.

ويقال في أقسام أحكام الخشية ما يقال في أقسام أحكام الخوف.

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ**:

هذه الآية: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ...**﴾ فيها المسارعة في الخيرات والدعاء رغبًا ورهبًا وفيها الخشوع.

وجه الاستدلال: أن اللَّه أثنى على الأنبياء بذلك وما دام أنه أثنى عليهم فهي من العبادات المرضية، فالرغبة: رجاء خاص، والرهبة: خوف ووجل خاص، والخشوع: هو التطامن والذل قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً**﴾ أي: ساكنة ليس فيها حركة، ذليلة.

فتلك العبادات من العبادات القلبية التي تظهر على الجوارح، ولو شاهدت المشركين عند القبور لرأيت لهم خشوعًا في حركتهم ما لا تجده في المساجد التي ليس فيها قبور.

والخشوع يكون بالأعمال كما يكون بالصوت قال تعالى: ﴿**وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ**﴾.

والدليل الخاص: ﴿**وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ أصله: كانوا خاشعين لنا فقدم ما حقه التأخير فأفاد الحصر والاختصاص.

❑ ❑ ❑

قوله: (ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ الآية):

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

الإنابة الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ الإسلام الشرعي وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان:

الأول: إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السموات والأرض من مؤمن وكافر، وبر وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٣].

الثاني: إسلام شرعي وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

حقيقة الإنابة: الرجوع أي رجوع القلب عما سوى اللَّه جل وعلا إلى اللَّه جل وعلا وحده. وإذا تعلق القلب وتوجه إلى غير اللَّه فيكون راجعًا إليه ومنيبًا إليه كالذين يتوجهون إلى الأنبياء والملائكة والجن ونحوهم فيكون قلبهم مفرغًا عما سوى هؤلاء وهذا الرجوع هو رجوع للقلب مع تعلقه ورجائه، فحقيقة الإنابة أنها لا تقوم وحدها بل يرجع القلب وقد قام به أنواع من العبادة كالرجاء والخوف والمحبة ونحوها. فالمنيب إلى اللَّه عز وجل هو الذي رجع عما سوى اللَّه

إلىٰ اللَّه مع الخوف والرجاء ولا تقوم بالقلب إلا مع أنواع أُخر من العبوديات .

قوله تعالىٰ : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ فيه دليل علىٰ أن الإنابة من العبادة ووجه الاستدلال : كون اللَّه جل وعلا أمر بها فتدخل في تعريف العبادة، وهذا الدليل دليل عام علىٰ الإنابة :

أما الدليل الخاص فقوله تعالىٰ : ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ قالها شعيب عليه السلام وأخبر اللَّه جل وعلا بها في معرض بالثناء عليه، والمعنىٰ : عليه وحده لا غير توكلت وفوضت أمري وأخليت قلبي عما سوىٰ اللَّه جل وعلا وإليه أرجع محبًّا راجيًا خائفًا من اللَّه سبحانه، فدل علىٰ أن هذه العبادة مختصة باللَّه سبحانه. وكل مسألة لها دليلان عام وخاص .

❏ ❏ ❏

قوله : (ودليل الاستعانة قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

وفي الحديث : «إذا استعنت فاستعن بالله»[(١)]) :

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

الاستعانة :طلب العون وهي أنواع :

الأول: الاستعانة بالله وهي : الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالىٰ ودليلها قوله تعالىٰ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ووجه الاختصاص أن الله تعالىٰ قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾ وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر

---

(١) جزء من حديث حسن:رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣ ، ٣٠٣)، والطبراني في الكبير، وصححه الألباني رحمه الله في الجامع (٥٩٥٧) .

والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركًا مخرجًا عن الملة .

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [سورة المائدة:٢].

وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى : ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة المائدة:٢].

وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة:١٩٥].

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل .

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقًا أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكون .

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله : ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ [سورة البقرة:١٥٣].

وقد استدل المؤلف رحمه الله تعالى للنوع الأول بقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [سورة الفاتحة:٤]وقوله ﷺ : «**إذا استعنت فاستعن بالله**» .

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ :**

هذا دليل عام في العبادة ﴿**إِيَّاكَ**﴾ ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم وتقديمه يفيد الاختصاص أو يفيد الحصر والقصر . فأفاد أن العبادة خاصة

باللَّه جل وعلا. وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا أستعين إلا بك.

ووجه **الاستدلال**: أنه قدم الجار والمجرور فأفاد الاختصاص.

وطلب الإعانة من اللَّه فيها طلب لمقتضى الربوبية.

الإشراك في الألوهية في بعض أوجهه أعظم من إنكار بعض أفراد الربوبية، مثاله: قول الرجل من بني إسرائيل (لئن قدر اللَّه علي) فهذا شك في بعض أفراد القدرة ولكن اللَّه غفر له. وكذلك قول حواريي عيسى: (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) ولم يؤاخذهم اللَّه تعالى بذلك وأُجيبوا، لأنها شك في بعض أفراد الربوبية. أما العبادة لغير اللَّه جل وعلا فلا يقبل من أحد أن يصرف شيئًا منها لغير اللَّه سبحانه، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

وعيسى عليه السلام قال لقومه: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

وقال سبحانه لعيسى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ الآيات.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: إن العبادة لغير اللَّه أعظم شأنًا من الاستعانة بغير اللَّه، ولهذا قدمت في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنها أعظم شأنًا وأشد خطرًا.

قوله: (وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن باللَّه»).

وجه الاستدلال: أن الأمر بالاستعانة باللَّه رُتِّبَ على إرادة الاستعانة، يعني إذا كنت متوجهًا بالاستعانة فلا تستعن بأحد غير اللَّه، ولما جاء في جواب الشرط

صار متركبًا لما قبله.

حقيقة الاستعانة: طلب العون، لأن كثيرًا فيما أوله السين والتاء بمعنى الطلب.

والمقصود: أن كثيرًا ما تأتي (استفعل) طلب الفعل، فإذا كان جميعًا فيها معنى الطلب يحصل دليلاً لها كل ما فيه طلب، فجميع أدلة الدعاء تصلح دليلاً لوجوب إفراد اللَّه تعالى بجميع أنواع الطلب.

❏ ❏ ❏

قوله: (**ودليل الاستعاذة قوله تعالى**: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ**﴾):

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين**:

الاستعاذة: طلب الإعاذة والإعاذة الحماية من مكروه فالمستعيذ محتمٍ بمن استعاذ به ومعتصم به والاستعاذة أنواع:

الأول: الاستعاذة بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر.

ودليلها: قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ إلى آخر السورة.

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾ إلى آخر السورة.

الثاني: الاستعاذة بصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك

ودليل ذلك قوله ﷺ : «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»(١) .

وقوله «**أعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي**»(٢) .

وقوله في دعاء الألم «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»(٣) .

وقوله : «**أعوذ برضاك من سخطك**»(٤) .

وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى : ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ**﴾ [سورة الأنعام: ٦٥] فقال : «**أعوذ بوجهك**»(٥) .

الثالث : الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ فهذا شرك ومنه قوله تعالى : ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾ [سورة الجن: ٦] .

الرابع : الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز .

ودليله : قوله ﷺ في ذكر الفتن : «**من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذبه**» متفق عليه(٦) .

وقد بين ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله : «**فمن كان له إبل فليلحق بإبله**» الحديث رواه مسلم(٧) .

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٥٥٢٩)، وأبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وأحمد (٤٧٧٠)، وصححه الألباني رحمه الله في تخريج الكلم الطيب (٢٧).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٢).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٤٨٦).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٢٨، ٧٣١٣، ٧٤٠٦).

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٢، ٧٠٨١، ٧٠٨٢)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٧) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٧).

وفي صحيحه أيضًا عن جابر ﷺ أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتى بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة. الحديث[١].

وفي صحيحه أيضًا عن أم سلمة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث**» الحديث[٢].

ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه.

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

الاستعاذة طلب العوذ ومعنى ﴿**أَعُوذُ**﴾ ألتجئ وأعتصم وأحترز بالله من شر الشيطان الرجيم. وهي طلب العوذ والمعتصم، وطلب العوذ باللسان لكن نفس الاستعاذة هي تقوم بالقلب فيقوم بالقلب الاعتصام والالتجاء والتحرز ولو لم يفصح لسانه بطلب العوذ. ولهذا قال جمع من أهل العلم: إنه لايجوز أن يقول قائل أعوذ بالله ثم بك لأن التعوذ عبادة قلبية وهو الصحيح.

وقال آخرون: إن الاستعاذة طلب للجأ والمعتصم وأن يقيه شرًا، مثلاً: يأتي شخص إلى قوي أو ملك أو نحوه فيقول: أعوذ بالله ثم بك من شر العدو.

فقالوا: يمكن أن يقدر عليه فجائز مع مراعاة الحماية الظاهرة.

والأظهر أنها عبادة قلبية كالتوكل. فالاستعاذة طلب العوذ مما فيه شر. وأما اللوذ فهو مما فيه خير فتقول: (ألوذ بك) أي إذا كنت مؤملاً خيراً.

قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ ووجه الاستدلال: أنه أمر بالاستعاذة.

وقوله: (فاستعذ بالله) فدل على أنها عبادة.

❑ ❑ ❑

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٢).

قوله: (ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية).

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

الاستغاثة: طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، وهو أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ، إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعًا يديه مستقبل القبلة يقول: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**» ومازال يستغيث بربه رافعًا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبوبكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله هذه الآية[1].

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكون فيجعل لهم حظًّا من الربوبية قال الله تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ [سورة النمل ٦٢].

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾ [سورة القصص: ١٥].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣).

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرىٰ وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ**:

الاستغاثة: طلب الغوث وهو يفسر بأنه الإغاثة والمدد والنصرة فإذا وقع أحد في غرق ينادي بالإغاثة: وهي عبادة لأنه أتىٰ بها في معرض الثناء ورتب عليها الإجابة فدل علىٰ أنه يحبها ويرضاها. قوله ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ**﴾ أي حين تستغيثون.

نلاحظ: أن الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة من مقتضيات الربوبية وهي تتعلق كثيراً بها. والاستعانة عمل ظاهر فيجوز أن يستغيث المرء بمخلوق ولكن بشروط أربعة وهي:

١ - كونه حيًّا.

٢ - قادراً.

٣ - حاضراً.

٣ - يسمع.

فإذا كان ميتًا صارت الاستغاثة به كفرًا ولو كان يسمع أو قادراً مثل الملائكة والجن والأموات. والميت لا يجوز طلب الغوث منه. أما استغاثة الناس يوم القيامة بالأنبياء فنقول: هذا ليس من الاستغاثة بالأموات لأنهم أحياء فهي استغاثة بحي حاضر قادر يسمع وليس فيه حجة علىٰ جواز الاستغاثة بغير اللَّه جل وعلا.

ولو استغاث بمخلوق فيما لا يقدر وهو حي حاضر وتعلق القلب به صارت الاستغاثة به شركًا.

◻ ◻ ◻

قوله: (ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله»).

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

الذبح: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص ويقع على وجوه:

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الثاني: أن يقع إكرامًا لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوبًا أو استحبابًا لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»(١) وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «**أولم ولو بشاة**»(٢).

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الإتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [سورة يس:٧١-٧٢] وقد يكون مطلوبًا أو منهيًّا عنه حسبما يكون وسيلة له.

● قال الشيخ صالح آل الشيخ:

الذبح يشمل النحر الخاص والذبح، وإراقة الدم لا يكون إلا بتعلق القلب فإذا أراق الدم للّه جل وعلا تعلق القلب باللّه، فالذبح عبادة ظاهرة يتبعها عبادة

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨، ٦١٣٥)، ومسلم (٤٧، ٤٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٤٨، ٢٠٤٩، ٣٧٨١)، ومواضع، ومسلم (١٤٢٧).

باطنة قلبية، فمن ذبح لغير اللَّه فصار شركه من جهتين.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ وجه الاستدلال: ﴿وَنُسُكِي﴾ وفسرت بعدة تفسيرات عن السلف، منها الذبح والنحر كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فأمره بالنحر.

قوله ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ اللام في (للَّه) لام الاستحقاق يعني: صلاتي ونسكي مستحق للَّه وحده لا شريك له.

أما قوله ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ فهذه لام أخرى وهي لام الملك، [فالصلاة والنسك للَّه استحقاقًا والمحيا والممات للَّه ملكًا] فجمعت هذه الآية بين توحيدي الإلهية الأول والربوبية الثاني فكما أنه جل وعلا هو مالك محياي ومماتي كذلك هو سبحانه المستحق لصلاتي ونسكي.

قال العلماء: إن العبد حال الذبح يجتمع في قلبه أنواع من العبودية منها: الذل لربه جل وعلا، ومنها: التعظيم له سبحانه، ومنها: رجاء ما عنده حال ذبحه، ومنها: طلب البركة لأنه ذبحه له سبحانه.

وقوله: (ومن السنة: «لعن اللّه من ذبح لغير اللّه»):

وجه الاستدلال: أن من ذبح لغير اللَّه فهو ملعون، وهو دعاء من النبي ﷺ وهو دليل على أن الذبح لغير اللَّه هو كبيرة من الكبائر ومعناه أن اللَّه يبغضه جل وعلا.

❑ ❑ ❑

قوله: (ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾).

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

أي دليل كون النذر من العبادة قوله تعالى: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾.

وجه الدلالة من الآية أن الله أثنى عليهم لإيفائهم النذر وهذا يدل على أن الله يحب ذلك، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة. ويؤيد ذلك قوله: ﴿**وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾.

واعلم أن النذر الذي امتدح الله تعالى هؤلاء القائمين به هو جميع العبادات التي فرضها الله عز وجل فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها الإنسان فقد التزم بها ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ [سورة الحج: ٢٩].

والنذر الذي هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة مكروه، وقال بعض العلماء: إنه محرم لأن النبي ﷺ، نهى عن النذر وقال: «**إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل**»(١) ومع ذلك فإن نذر الإنسان طاعة لله وجب عليه فعلها لقول النبي ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»(٢).

● قال الشيخ صالح آل الشيخ:

النذر هو: إيجاب العبد على نفسه شيئًا لم يوجبه اللّه عليه وتارة يكون النذر

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠٨، ٦٦٩٣)، ومسلم (١٦٣٩، ١٦٤٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٦٩٧، ٦٧٠٠).

مطلقًا، وتارة يكون مقيدًا بالمقابلة. فالنذر المطلق غير مكروه، والنذر المقيد مكروه. لذلك استشكل جمع من أهل العلم كون النذر عبادة مع أنه مكروه، ولذا قال النبي ﷺ: «**إن النذر لا يأتي بخير وإنما يُستخرج به من البخيل**» فقالوا: إذا كان مكروهًا فكيف يكون عبادة؟! الجواب: نقول إن هذا الإشكال غير وارد أصلاً لأن النذر ينقسم إلى قسمين:

١ ـ نذر مطلق.

٢ ـ نذر مقيد.

الأول: المطلق فلا يكون عند مقابلة، وهذا غير مكروه وهو. أن يوجب على نفسه عبادة للَّه جل وعلا بدون مقابلة، فيقول مثلاً: للَّه علي نذر أن أصلي الليلة عشر ركعات (دون مقابلة). فهذا إيجاب العبد على نفسه عبادة لم تجب عليه دون أن يقابلها بشيء وهذا محمود.

الثاني: المقيد وهو مكروه وهو المقابلة، كأن يقول: إن شفى اللَّه مريضي صمت يومًا وإن نجحت صليت ركعتين. فهذا يوجب عبادة على نفسه بشيء يحصل له قدرًا فكأنه قال: (إن أعطيتني صليت لك) أو نحوه كما قال النبي ﷺ: «**إنما يُستخرج به من البخيل**» لأن المؤمن المقبل على ربه لا يعبد اللَّه جل وعلا بالمقايضة ولكن يعبده لأنه سبحانه مستحق للعبادة.

والوفاء بالنذر في كلا الحالين واجب، واللَّه جل وعلا أثنى على الاثنين بقوله: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ**﴾، ولما كان الوفاء بالنذر واجبًا صار هذا عبادة من العبادات التي يحبها اللَّه جل وعلا إلا في حال وحدة وهي نذر المقابلة.

وهذا تحرير مفيد جيد قد لايوجد في غير هذا الموضع.

تفصيل النذر المحرم:

الأول: من نذر لغير الله، كأن يقول: نذرت للولي أو للرسول ﷺ، أو

يقول: (علي نذر للولي الفلاني) ولو كان بلا مقابلة فهذا إيجاب على نفسه عبادة لغير اللَّه فصار شركًا أكبر.

الثاني: (إن شفى اللَّه مريضي فعلي النذر للولي الفلاني كذا وكذا) فهذا على المقابلة فصرفه لغير اللَّه شرك.

الثالث: الوفاء لأصحاب القبور أو للجن أو للملائكة كله شرك أكبر فإن وفى به لغير اللَّه فهذا شرك.

لهذا قال ﷺ: «**ومن نذر أن يعصي اللَّه فلا يعصه**»(١).

❑ ❑ ❑

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام

قوله: (معرفة دين الإسلام بالأدلة):

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

أي من الأصول الثلاثة: معرفة دين الإسلام بالأدلة يعني أن يعرف دين الإسلام بأدلته من الكتاب والسنة.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

ذكر المصنف رحمه اللَّه تعالى الأصل الأول وهو معرفة الرب أي المعبود، والإنسان عندما يموت ويُسأل من ربك؟! أي من معبودك الذي كنت تعبده في الدنيا فيثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت، فلذلك كان إلزامًا على العبد أن يتعلم دينه ليخرج بذلك من التقليد ويكون جوابه على سبيل العلم والبصيرة لا

---

(١) جزء من الحديث السابق الذي رواه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠).

التقليد، كما يقول الفاجر أو المنافق: (هاه هاه لا أدري) فلا يجوز التقليد في أصول الدين.

❑ ❑ ❑

قوله: (وهو الاستسلام للّه بالتوحيد؛ والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله).

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

دين الإسلام وإن شئت فقل الإسلام هو «الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله» فهو متضمن لأمور ثلاثة.

قوله: (الاستسلام لله بالتوحيد): أي بأن يستسلم العبد لربه استسلامًا شرعيًّا وذلك بتوحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب عليه، أما الاستسلام القدري فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال الله تعالى: ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[سورة آل عمران:٨٣].

وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لأن الطاعة طاعة في الأمر بفعله وطاعة في النهي بتركه.

قوله: (البراءة من الشرك): أي أن يتبرأ منه، ويتخلى منه وهذا يستلزم البراءة من أهله قال الله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾[سورة الممتحنة:٤].

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ :**

جاء في بعض النسخ (والخلوص من الشرك) والصواب : (البراءة من الشرك وأهله) وهو الموجود في النسخ المعتمدة، ومن الواضح أن الجملة الثانية (والبراءة) أدل على المقصود من الأولى، لأن الخلوص من الشرك إنما هو خروج من الشرك وليس فيه البراءة منه وأهله، وهذا مناسب للدليل : ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ**﴾ .

الإسلام : يراد به تارة الإسلام العام، وتارة يراد به الإسلام الخاص وقد ورد المعنيان كلاهما في القرآن الكريم .

فالإسلام العام : يراد به الإسلام الذي خوطب به جميع الناس من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها بل خوطب به جميع المخلوقات قال تعالى : ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ وهذا الإسلام العام .

أما الإسلام الخاص (فهو المراد هنا) والمقصود به : الذي طلب من الناس أن يعتقدوا به وهو دين الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ الذي يشمل عقيدة الإسلام وشريعته .

وقد ثبت في الحديث الصحيح قوله ﷺ : «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا أكبه اللّه في النار**» .

وفي رواية «**أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني**»[1] فدل على أنه لا يقبل بعد بعثة النبي ﷺ الإسلام العام وهو المراد هنا وهو الذي تحصل به الفتنة في القبر .

قوله : (الإسلام هو الاستسلام للّه بالتوحيد) الاستسلام هو أن يكون

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٣) .

صاحبه كهيئة المستسلم والمستسلم لغيره تابع له لا يفعل إلا ما يريد وهو بمعنى الإسلام.

وقيدها (بالتوحيد) فشمل توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، والمقصود هنا بالمعنى الأخص: هو توحيد العبادة لأنه هو الذي وقعت الخصومة فيه وهو متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

ثم قال: (والانقياد له بالطاعة) أي أن يكون منقاداً غير ممانع ولا متولٍّ عن طاعة الله جل وعلا وإنما يذعن كما قال تعالى: **﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾**.

قوله: (والبراءة من الشرك وأهله) فُسرت البراءة بعدة تفسيرات أصل وفروعه، فالبراءة: أصلها البغض للشرك في القلب والبغض لأهله، ويتبع بغضهم:

١ - معاداتهم.

٢ - وتكفيرهم.

٣ - ومقاتلتهم.

وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت لأن معناه بغضه وتكفير أهله، فتلخص أن على العامة وهم من ليسوا بعلماء: أصل البراءة وهي البغض، وأما فروعها فإنما هي بحسب درجات العلم، فمن لم يبغض الشرك وأهله فإنه ليس بمسلم، وقد يكون يحب التوحيد وأهله ويبغض الشرك وأهله لكنه يحب بعض المشركين من أجل الدنيا فهذا ليس بمشرك.

❑ ❑ ❑

قوله: (وهو ثلاث مراتب، الإسلام والإيمان والإحسان وكل مرتبة لها أركان)

• الشرح •

• قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الدين الإسلامي ثلاث مراتب بعضها فوق بعض وهي الإسلام، والإيمان، والإحسان.

دليل ذلك قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاء جبريل يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وبين له ﷺ ذلك وقال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»(١).

• قال الشيخ صالح آل الشيخ:

أي في دين الإسلام ثلاث مراتب وهي الإسلام: ونتيجة هذه المرتبة أن يحكم لأهلها أنهم مسلمون، والإيمان، والإحسان، ولكل مرتبته.

❐ ❐ ❐

قوله: (فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾).

• الشرح •

• قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

دليل ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «**بني الإسلام على**

---

(١) صحيح: تقدم.

خمس «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام»[1].

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ركن واحد وإنما كانتا ركنًا واحدًا مع أنهما من شقين لأن العبادات تنبني على تحقيقهما معًا، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص لله عز وجل وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله، واتباع الرسول ﷺ وهو ما تتضمنه شهادة أن محمدًا رسول الله.

في الآية الكريمة شهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وشهادة الملائكة وشهادة أهل العلم بذلك وأنه تعالى قائم بالقسط أي العدل ثم قرر ذلك بقوله: ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأهل العلم حيث أخبر أنهم شهداء معه ومع الملائكة والمراد بهم أولو العلم بشريعته ويدخل فيهم دخولاً أوليًّا رسله الكرام.

وهذه الشهادة أعظم شهادة لعظم الشاهد والمشهود به، فالشاهد هو الله وملائكته، وأولو العلم، والمشهود به توحيد الله في ألوهيته وتقرير ذلك ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

وجه الاستدلال: أن اللَّه جل وعلا شهد لنفسه بذلك وشهد بها ملائكته وأولوا العلم.

❑ ❑ ❑

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨، ٤٥١٥)، ومسلم (١٦).

قوله: (ومعناها لا معبود بحق إلا اللّه وحده، لا إله نافيًا جميع ما يعبد من دون اللّه، إلا اللّه مثبتًا العبادة للّه وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾):

• الشرح •

• قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

قوله (ومعناها): أي معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله فشهادة أن لا إله إلا الله أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حق إلا الله عز وجل لأن «إله» بمعنى مألوه، والتأله التعبد، وجملة «لا إله إلا الله» مشتملة على نفي وإثبات، أما النفي فهو «لا إله» وأما الإثبات فهو «إلا الله» و«الله» لفظ الجلالة بدل من خبر «لا» المحذوف والتقدير «لا إله حق إلا الله» وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة «حق» يتبين الجواب عن الإشكال التالي: وهو كيف يقال «لا إله إلا الله» مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله وقد سماها الله تعالى آلهة وسماها عابدوها آلهة قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [سورة هود: ١٠١]. وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].

والجواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في «لا إله إلا الله» فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس

لها من حق الألوهية شيء.

ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج:٦٢].

ويدل لذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [سورة النجم:١٩-٢٣].

وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة يوسف:٤٠] إذن فمعنى «لا إله إلا الله» لا معبود حق إلا الله عز وجل، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقة أي ألوهية باطلة.

و **إبراهيم**: هو خليل الله إمام الحنفاء، وأفضل الرسل بعد محمد ﷺ وأبوه آزر.

(براء) صفة مشبهة من البراءة وهي أبلغ من بريء. وقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ يوافي قوله «لا إله».

﴿فَطَرَنِي﴾ خلقني ابتداءً على الفطرة وقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يوافي قوله «إلا الله» فهو سبحانه وتعالى لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف:٥٤] ففي هذه الآية حصر الخلق والأمر لله رب العالمين وحده فله الخلق وله الأمر الكوني والشرعي.

﴿سَيَهْدِينِ﴾ سيدلني على الحق ويوفقني له.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي هذه الكلمة وهي البراءة من كل معبود سوى الله.

﴿ فِي عَقِبِهِ ﴾ في ذريته .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي إليها من الشرك .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ لمناظرة أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ .

﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ هذه الكلمة هي ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فلا نعبد إلا الله هي معنىٰ «لا إله إلا الله» ومعنىٰ ﴿ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أننا نحن وإياكم سواء فيها .

أي لا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا دون الله عز وجل بحيث يعظم كما يعظم الله عز وجل ، ويعبد الله ، ويجعل الحكم لغيره .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا عما دعوتموهم إليه .

﴿ فَقُولُوا ﴾ : أي : فأعلنوا لهم وأشهدوهم أنكم مسلمون لله ، بريئون مما هم عليه من العناد والتولي عن هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله» .

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ :**

فقوله (لاإله إلا الله) وهي أربع كلمات : (لا) وهي حرف نافٍ للجنس وهي تعمل عمل إنَّ ويكون اسمها نكرة . (إله) فعال بمعنىٰ مفعول أي : معبود والألوهية أي العبودية وأصلها من : أله يأله ألهة وألوهة إذا عبد عابد من الحب ، والخوف والرجاء ، قال الراجز في رجزه المشهور :

لله در الغانيات المدَّهِ ... سبحن واسترجعن من تأله

فمعنىٰ (لا إله) أي لا معبود ، وهذا موافق للقرآن وللغة العرب ، ومن فسر (الإله) بالرب كعلماء الكلام من الأشاعرة وغيرهم أي القادر علىٰ الاختراع ، فإن هذا من أبطل ما يكون لأنه مناقض للغة التعرب ويرده القرآن والسنة .

فقال أولئك (لا إله) أي لا قادر علىٰ الاختراع ، ولذلك فهم لايكفرون من

أشرك مع اللَّه أحداً غيره لأنه مقر بالربوبية على حد زعمهم. وبعضهم يفسر (الإله) بمعنى آخر يرجع إلى الربوبية فيقول السنوسي (أحد كبار أئمة الأشعرية) يقول: (الإله) هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه، وهذا التفسير من أبطل الباطل لأن المشركين مقرون بهذا الذي فسره وكما بينه القرآن في آيات كثيرة.

ومن زعم أن تفسير (لا إله إلا اللَّه) أي (لا معبود بحق إلا اللَّه) هو تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب (أي أحدثه من عند نفسه) فهو جاهل بالقرآن لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ**﴾ وغيرها من الآيات الكثيرة، وهذا ليس تفسيراً اجتهادياً كما زعم الخرافيون.

قوله (إلا) أداة استثناء أو حصر. قال العلماء: إن خبر (لا) محذوف لأن العرب جرى في لغتها أن خبر (لا) النافية للجنس يحذف إذا كان واضحاً. ومن الواضح أن المشركين لم ينازعوا في وجود آلهة كثيرة موجودة، ولذلك لا يصلح أن يكون المعنى: لا إله موجود إلا اللَّه، لأنهم سيقولون: كلمتك هذه غير صحيحة، ولكنهم فهموا هذه الكلمة ولذلك رفضوها وقالوا: ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً**﴾. فتقدير الخبر يكون: حق أو بحق وهذا الحذف للخبر معلوم من اللغة كما قال ابن مالك في ألفيته في آخر باب (لا) النافية للجنس:

وشاع في ذا الباب اسقاط الخبر   إذا المراد مع سقوطه ظهر

وكما قال سبحانه: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿**هُوَ الْبَاطِلُ**﴾.

❑ ❑ ❑

قوله:(ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾) :

• الشرح •

• قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من جنسكم بل هو بينكم أيضًا كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة:٢].

﴿عَنِتُّمْ﴾ أي يشق عليه ما شق عليكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي على منفعتكم ودفع الضر عنكم.

﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، وخص المؤمنين بذلك لأنه ﷺ مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وهذه الأوصاف لرسول الله ﷺ تدل على أنه رسول الله حقًّا كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف:١٥٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً تدل على أن محمداً رسول الله حقًّا.

• قال الشيخ صالح آل الشيخ:

اللام في قوله ﴿لَقَدْ﴾ تسمى اللام الموطنة للقسم، والمقسم هو اللَّه جل وعلا، فأقسم بأنه قد جاء رسول وهذا لتعظيم الأمر.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من جنسكم.

ووجه الاستدلال: واضح الدلالة على أن اللَّه تعالى أرسل محمداً ﷺ،

ومعنى شهادة أن محمداً رسول اللّه أن تعتقد بذلك اعتقاداً يصحبه قول وإخبار عنه .

❑ ❑ ❑

قوله : (ومعنى شهادة أن محمداً رسول اللّه طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لايُعبد اللّه إلا بما شرع) :

• الشرح •

• قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

معنى شهادة أن «محمداً رسول الله» هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله - عز وجل - إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [سورة الذاريات : ٥٦] .

ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد ﷺ كما قال تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ [سورة الفرقان : ١] .

ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر ، وأن تمتثل أمره فيما أمر ، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع ، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ ، حقاً في الربوبية وتصريف الكون ، أو حقاً في العبادة ، بل هو ﷺ عبد لا يُعبد ، ورسول لا يكذب ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله .

كما قال تعالى : ﴿ **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** ﴾ [سورة الأنعام : ٥٠] فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به .

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [سورة الجن: ٢١-٢٢].

وقال سبحانه: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨]

وبهذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ، ولا من دونه من المخلوقين، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

وأن حقه ﷺ، أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها وهو أنه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

هذا التفسير بالمقتضى أي معناها الذي تقتضيه، فهي تقتضي طاعته فيما أمر كما قال ﷺ: «**ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**»(١) فإذا اعتقدت أن ما جاء به محمد ﷺ لم يأت به من عنده وإنما هو رسول، فمعنى هذا أن تطيعه فيما أمر، فمن اعتقد أنه لا تجب عليه طاعته فهذا مكذب به.

فقوله: (وتصديقه فيما أخبر) فما أخبر به ﷺ من الغيب وحي من عند الله تعالى، ومقتضى شهادتك به أن تصدقه فيما أخبر من الغيب وغيره، ولا يطرأ على قلبك شك فيه.

وقوله: (واجتناب ما نهى عنه وزجر) النهي والزجر بمعنى واحد وهو

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، والدارمي (٥٨٦)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨١٨٦).

يقتضي التحريم، فما حرمه الرسول ﷺ يجب اجتنابه، قال جل وعلا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ فما جاء من عند الرسول ﷺ تأخذه امتثالاً للأمر وتصديقًا بالخبر، وما نهانا عنه يجب تركه طاعة للَّه ولرسوله ﷺ.

وقوله: (**وأن لا يُعبد اللّه إلا بما شرع**) أي: لا يعبد بالبدع والأهواء والآراء والاستحسانات المختلفة وإنما يعبده عن طريق واحد هو طريق النبي ﷺ.

❑ ❑ ❑

قوله: (ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾):

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

قوله: (**ودليل الصلاة والزكاة**): أي أن الصلاة والزكاة من الدين قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة:٥) وهذه الآية عامة شاملة لجميع أنواع العبادة فلابد أن يكون الإنسان فيها مخلصًا لله عز وجل متبعًا لشريعته.

هذ من باب عطف الخاص على العام، لأن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة من العبادة ولكنه سبحانه وتعالى نص عليهما لما لهما من الأهمية فالصلاة عبادة البدن، والزكاة عبادة المال وهما قرينتان في كتاب الله عز وجل.

﴿ حُنَفَاءَ ﴾أي عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

﴿ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾أي دين الملة القيمة التي لا اعوجاج فيها لأنها دين الله عز وجل ودين الله مستقيم كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣].

وهذه الآية الكريمة كما تضمنت ذكر العبادة والصلاة فقد تضمنت حقيقة التوحيد وأنه الإخلاص لله عز وجل من غير ميل إلىٰ الشرك، فمن لم يخلص لله لم يكن موحدًا، ومن جعل عبادته لغير الله لم يكن موحدًا.

قوله: (ودليل الصيام) :أي دليل وجوبه قوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وفي قوله ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ فوائد:

أولاً: أهمية الصيام حيث فرضه الله عز وجل علىٰ الأمم من قبلنا وهذا يدل علىٰ محبة الله عز وجل له وأنه لازم لكل أمة.

ثانيا: التخفيف علىٰ هذه الأمة حيث إنها لم تكلف وحدها بالصيام الذي قد يكون فيه مشقة علىٰ النفوس والأبدان.

ثالثا: الإشارة إلىٰ أن الله تعالىٰ أكمل لهذه الأمة دينها حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها.

بين الله عز وجل في هذه الآية حكمة الصيام بقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي تتقون الله بصيامكم وما يترتب عليه من خصال التقوىٰ وقد أشار النبي ﷺ إلىٰ هذه الفائدة بقوله: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٩٠٣، ٦٠٥٧).

قوله: (**ودليل الحج**): أي دليل وجوبه قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**﴾ إلخ. وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة وبها كانت فريضة الحج ولكن الله عز وجل قال: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ ففيه دليل على أن من لم يستطع فلا حج عليه.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ دليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلاً يكون كفراً ولكنه كفر لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء لقول عبد الله بن شقيق: «**كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة**»[1]

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

هذا بيان لأدلة أركان الإسلام.

❏ ❏ ❏

المرتبة الثانية

قوله: (**الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**):

• الشرح •

●**قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

أي من مراتب الدين.

الإيمان في اللغة: التصديق.

وفي الشرع: «اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وهو بضع

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٢٢).

وسبعون شعبة».

البضع: بكسر الباء من الثلاثة إلىٰ التسعة.

الشعبة: الجزء من الشيء.

إماطة الأذى: أي إزالة الأذىٰ وهو ما يؤذي المارة من أحجار وأشواك، ونفايات وقمامة وما له رائحة كريهة ونحو ذلك.

الحياء: صفة انفعالية تحدث عند الخجل وتحجز المرء عن فعل ما يخالف المروءة.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ**:

الإيمان: أصله في اللغة التصديق الجازم. شرعًا: قول وعمل واعتقاد، أو قول وعمل أي: قول اللسان والقلب، والعمل عمل القلب والجوارح. قال أهل العلم: هذا الإيمان هو الذي حصل الابتلاء به.

الإيمان كثيرًا ما يأتي في القرآن ويراد به المعنىٰ اللغوي أو يراد به المعنىٰ الشرعي كلفظ (الصلاة).

قال بعض أهل التحقيق: الإيمان اللغوي في القرآن كثيرًا ما يعدي باللام كقوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ وكقوله تعالىٰ: ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ**﴾ ونحوه. والإيمان الشرعي يعدىٰ كثيرًا بالباء كقوله تعالىٰ: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ**﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿**آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ وقوله: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ**﴾.

ويراد بالإيمان تارة: الاعتقدات والباطنة، وهو الذي يناسب المرتبة الثانية.

قال الشيخ: (**الإيمان بضع وسبعون شعبة**) وهذا يعني به اسم الإيمان العام الذي يدخل فيه الإسلام لأن الإيمان أوسع من الإسلام والإسلام بعض الإيمان، وأهل الإيمان أخص من أهل الإسلام. وفي الحديث ذكر ثلاث شعب، فالأولىٰ

قول ويستدل بها على الشعب القولية، والثانية عمل ويستدل بها على بقية الشعب، وهكذا. ويدخل في هذه الشعب الصلاة والصيام والخشية والمحبة وغير ذلك كلها من الإيمان.

❑ ❑ ❑

● **قوله: (وأركانه ستة، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.**

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾).

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

والجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف رحمه الله تعالى من أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة أن نقول: الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(1).

وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيمانًا في قوله: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ [سورة البقرة:١٤٣] قال المفسرون: يعني صلاتكم إلى بيت المقدس لأن الصحابة كانوا

---

(1) **صحيح**: تقدم.

قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى بيت المقدس .

والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور :

الأول - الإيمان بوجود الله تعالى :

وقد دلَّ على وجوده تعالى : الفطرة ، والعقل ، والشرع ، والحس .

١ - أما دلالة الفطرة على وجوده : فإنَّ كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم ، ولا ينصرفُ عن مقتضى هذه الفطرة إلاَّ من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ : «**ما من مولودٍ إلاَّ يولدُ على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه**»(1).

٢ - وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى : فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجدَ نفسها بنفسها ، ولا يمكن أن تُوجدَ صدفة . ولا يمكن أن تُوجِدَ نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلقُ نفسه ، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا؟ ولا يمكن أن تُوجدَ صدفة ، لأن كل حادث لابد له من محدث ، ولأن وجودها على هذا النظام البديع ، والتناسق المتآلف ، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها ، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنعُ منعًا باتًا أن يكون وجودها صدفة ، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ، ولا أن تُوجد صدفة تعيَّن أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين .

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطُّور ، حيث قال : ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ [سورة الطور:٣٥] يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق ، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم . فتعين أن يكون خالقهم هو

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٨٥ ، ٤٧٧٥) .

الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع ـ جبير بن مطعم ـ ﷺ رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطُّور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٥-٣٧] وكان ـ جبير ـ يؤمئذ مشركًا قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي» رواه ـ البخاري ـ مفرقًا(١).

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدَّثك شخص عن قصرٍ مُشيَّد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلئ بالفرش والأسرة، وزيِّن بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وُجدَ هكذا صدفة بدون مُوجد، بادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثهُ سفهًا من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجدَ نفسه، أو وُجد صدفة بدون موجد؟!

٣ ـ وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤ ـ وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٦]

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٩]

---

(١) صحيح: تقدم.

وفي صحيح البخاري عن ـ أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أعرابيًّا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطبُ، فقال: (يا رسول الله)، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزلُ عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: (يا رسول الله) تهدَّم البناء، وغرق المال، فادعُ الله لنا، فرفع يديه وقال: «**اللهم حوَالَيْنَا ولا عَلَيْنَا**»، فما يشيرُ إلى ناحية إلا انفرجت[1].

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أنَّ آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله ونصرًا لهم.

مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثنى عشر طريقًا يابسًا، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ [سورة الشعراء: ٦٣].

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿**وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [سورة آل عمران: ٤٩] وقال: ﴿**وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي**﴾ [سورة المائدة: ١١٠].

ومثال ثالث: لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ**﴾ [سورة القمر: ١-٢]

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٩٣٣، ١٠١٣، ١٠١٥، ١٠٢٠) ومواضع، ومسلم (٨٩٧).

فهذه الآيات الملموسة التي يجريها الله تعالىٰ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم، تدلُّ دلالة قطعية علىٰ وجوده تعالىٰ.

الثاني - الإيمان بربوبيته:

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له.

قال تعالىٰ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

وقال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر:١٣].

ولم يعلم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابرًا غير معتقد بما يقول، كما حصل من - فرعون - حين قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات:٤٢].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص:٣٨]

لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل:١٤].

وقال موسىٰ لفرعون فيما حكىٰ الله عنه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [سورة الإسراء:١٠٢].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالىٰ، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٨٤-٨٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الزخرف:٩].

وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الزخرف:٨٧].

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالىٰ مشرعًا في العبادات، أو حاكمًا في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث ـ الإيمان بألوهيته:

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و«الإله» بمعنىٰ «المألوه» أي «المعبود» حبًّا وتعظيمًا.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٦٣] وقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران:١٨].

وكل ما اتخذ إلهًا مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج:٦٢].

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالىٰ في (اللات والعزىٰ ومناة): ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة النجم:٢٣].

وقال عن هود أنه قال لقومه: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة الأعراف:٧١].

وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة يوسف: ٣٩-٤٠].

ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلقُ، ولا تجلبُ نفعًا لعابديها، ولا تدفعُ عنهم ضررًا، ولا تملك لهم حياة، ولا موتًا، ولا يملكون شيئًا من السموات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سورة سبأ: ٢٢-٢٣].

وقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجيرُ ولا يُجارُ عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه

بالألوهية كما وحَّدوه بالربوبية كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢].

وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٧].

وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [سورة يونس: ٣١-٣٢].

الرابع ـ الإيمان بأسمائه وصفاته:

أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

وقال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الروم: ٢٧].

وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١].

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:

إحداهما: (المعطلة) الذين أنكروا الأسماء، والصفات، أو بعضهما، زاعمين أن إثباتها يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالىٰ بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالىٰ أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفىٰ أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله، وتكذيبُ بعضه بعضًا.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين فأنت ترىٰ الشخصين يتفقان في أن كلاً منهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية، والسمع، والبصر، والكلام، وترىٰ الحيوانات لها أيد وأرجل، وأعين، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها، وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

الطائفة الثانية: (المشبهة) الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالىٰ بخلقه زاعمين أن هذا مقتضىٰ دلالة النصوص، لأن الله تعالىٰ يخاطبُ العبادَ بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أن مشابهة الله تعالىٰ لخلقه أمر باطل يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضىٰ نصوص الكتاب والسنة أمرًا باطلاً.

الثاني: أن الله تعالىٰ خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنىٰ، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنىٰ فهو مما استأثر الله تعالىٰ بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنىٰ (وهو إدراك الأصوات) ولكن حقيقة ذلك بالنسبة إلىٰ سمع الله تعالىٰ غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتىٰ في المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالىٰ عن نفسه أنه استوىٰ علىٰ عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنىٰ معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها غير معلومة بالنسبة إلىٰ استواء الله علىٰ عرشه، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الاستواء علىٰ كرسي مستقر كالاستواء علىٰ رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالىٰ بحيث لا يتعلقُ بغيره رجاء، ولا خوفًا، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالىٰ، وتعظيمه بمقتضىٰ أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهىٰ عنه.

الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون للّه تعالىٰ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالىٰ من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة علىٰ تنفيذه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ **وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ** ﴾ [سورة الأنبياء: ١٩-٢٠].

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالىٰ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس ﷺ في قصة المعراج أن النبي ﷺ رُفعَ له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه

نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق [1].

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى - مريم - فتمثل لها بشراً سويًا، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفهُ أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال النبي ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**». رواه مسلم. وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا في صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها أمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.

مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل.

ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومثل: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٣٢، ٤٨٥٦، ٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤).

ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكًا وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.

ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها، لكل شخص ملكان: أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال.

ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكلَّ من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجسامًا، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾ [سورة فاطر: ١].

وقال: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**﴾ [سورة الأنفال: ٥٠].

وقال: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ**﴾ [سورة الأنعام: ٩٣].

وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣].

وقال: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [سورة الرعد:٢٣-٢٤].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إن الله يحبُّ فلانًا فأحببه، فيحبُّه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، إنَّ الله يحب فلانًا فأحبُّوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(١).

وفيه أيضًا عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووُا الصحف، وجاءُوا يستمعون الذكر**»(٢).

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوىً معنوية، كما قال الزائغون وعلىٰ مقتضىٰ هذه النصوص أجمع المسلمون.

الكتب: جمع (كتاب) بمعنىٰ (مكتوب).

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها تعالىٰ علىٰ رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلىٰ سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًّا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل علىٰ محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت علىٰ موسىٰ ﷺ، والإنجيل الذي أنزل علىٰ عيسىٰ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٠٩، ٦٠٤٠)، ومسلم (٦٢٣٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢١١)، ومسلم (٨٥٠).

ﷺ، والزبور الذي أوتيه داود ﷺ وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أو لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة:٤٨] أي (حاكمًا عليه) وعلىٰ هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالىٰ بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالىٰ في شرعه حيث شرَّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة:٤٨]

الرسل: جمع (رسول) بمعنىٰ (مرسل) أي (مبعوث) بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه.

وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [سورة النساء:١٦٣].

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي ﷺ (**ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله ـ وذكر تمام الحديث**)(١).

وقال الله تعالىٰ في محمد ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن

---

(١) **حديث الشفاعة متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢، ٦٥٦٥، ٦٦٦٧، ٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣، ١٩٤).

رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالىٰ بشريعة مستقلة إلىٰ قومه، أو نبي يوحىٰ إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالىٰ عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهًا عند الله: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [سورة الجن: ٢١-٢٢].

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلىٰ الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالىٰ عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالىٰ: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [سورة الشعراء، ٧٩-٨١].

وقال النبي ﷺ: «**إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني**» (١).

وقد وصفهم الله تعالىٰ بالعبودية له في أعلىٰ مقاماتهم، وفي سياق الثناء

---

(١) متفق عليه رواه البخاري (٤٠١، ومسلم (٥٧٢).

عليهم.

فقال تعالىٰ في نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [سورة الإسراء:٣].

وقال في محمد ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان:١].

وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب صلىٰ الله عليهم وسلم: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [سورة ص:٤٥-٤٧].

وقال في عيسىٰ ابن مريم ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الزخرف:٥٩].

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالىٰ، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٠٥] فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه، وعلىٰ هذا فالنصارىٰ الذين كذبوا محمد ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح ابن مريم غير متبعين له أيضًا، لاسيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنىٰ لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلىٰ صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالىٰ في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب:٧].

وفي سورة الشورىٰ في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى:١٣].

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر:٧٨].

الثالث: تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلىٰ جميع الناس قال الله تعالىٰ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء:٦٥].

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالىٰ وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلىٰ صراط الله تعالىٰ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالىٰ علىٰ هذه النعمة الكبرىٰ.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالىٰ، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كذَّب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالىٰ لا يكونون من البشر وقد ذكر الله تعالىٰ هذا الزعم وأبطله بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾ [سورة الإسراء:٩٤-٩٥]

فأبطل الله تعالىٰ هذا الزعم بأنه لابد أن يكون الرسول بشرًا لأنه مرسل إلىٰ أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزَّل الله عليهم من السماء ملكًا رسولاً، ليكون مثلهم.

وهكذا حكىٰ الله تعالىٰ عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠-١١].

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسُمِّي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقرُّ أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتىٰ حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عُراة غير مستترين، غُرلاً غير مختتنين، قال الله تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤].

والبعث: حق ثابت دَلَّ عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٥-١٦].

وقال النبي ﷺ: «**يُحشرُ الناس يوم القيامة حفاة غرلاً**»[(١)] متفق عليه.

وأجمع المسلمون علىٰ ثبوته، وهو مقتضىٰ الحكمة حيث تقتضي أن يجعل

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥) ومواضع، ومسلم (٢٨٥٩، ٢٨٦٠).

الله تعالى لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:١١٥] .

وقال لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [سورة القصص:٨٥] .

الثاني : الإيمان بالحساب والجزاء : يحاسبُ العبد على عمله ، ويجازى عليه ، وقد دل على ذلك الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [سورة الغاشية:٢٥-٢٦]

وقال : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنعام:١٦٠] .

وقال : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧] .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **«إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى أنه قد هلك قال : قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته ، وأمَّا الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين»**[1] متفق عليه .

وصحَّ عن النبي ﷺ **«أن من همَّ بحسنة فعملها ، كتبها الله عنده عشر**

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤١، ٤٦٨٥، ٦٠٧٠، ٧٥١٤)، ومسلم (٢٧٦٨).

حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأن من همَّ بسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة»[١].

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإنَّ الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحلَّ دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم، وأموالهم.

فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ **فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ** ﴾[سورة الأعراف: ٦-٧].

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾[سورة البينة: ٧-٨].

وقال تعالى: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[سورة السجدة: ١٧].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنكال ما لا يخطر على البال قال الله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[سورة آل عمران: ١٣١].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٢٨، ١٣٠، ١٣١).

وقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [سورة الأحزاب: ٦٤-٦٦].

ويلتحق الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

(أ) **فتنة القبر**: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه، ونبيه، فيثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ. ويضلُّ الله الظالمين فيقول الكافر: هاه، هاه، لا أدري. ويقول المنافق المرتاب: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

(ب) **عذاب القبر ونعيمه**: فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٣].

وقال تعالى في -آل فرعون-: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر: ٤٦].

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «**فلولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» ثم أقبل بوجهه فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب النار**». قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**». قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: **تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها، وما بطن**. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما

بطن. قال: «**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**». قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال (١).

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [سورة فصلت: ٤١].

وقال تعالى: ﴿**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾ [سورة الواقعة: ٨٣-٨٩].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: «**ينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسحُ له في قبره مدَّ بصره**» رواه أحمد وأبوا داود في حديث طويل (٢).

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاءً لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضئ بها خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن. وهذا الزعم باطل دلَّ على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٢) **صحيح**: تقدم.

لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة التغابن:٧]وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

وأما الحس:فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة، خمسة أمثلة على ذلك وهي:

المثال الأول:قوم موسى حين قالوا له: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [سورة البقرة:٥٥]فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم.

وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة:٥٥-٥٦].

المثال الثاني:في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة:٧٢-٧٣].

المثال الثالث:في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة:٢٤٣].

المثال الرابع:في قصة الذي مرَّ على قرية فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله تعالى مئة سنة، ثم أحياه.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا

قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩]

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالىٰ أن يريه كيف يحيي الموتىٰ؟ فأمره الله تعالىٰ أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء علىٰ الجبال التي حوله، ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلىٰ بعض، ويأتين إلىٰ إبراهيم سعيًا.

وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٦٠].

فهذه أمثلة حسية واقعية تدل علىٰ إمكانية إحياء الموتىٰ، وقد سبقت الإشارة إلىٰ ما جعله الله تعالىٰ من آيات عيسىٰ ابن مريم من إحياء الموتىٰ وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالىٰ.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالىٰ فاطر السموات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر علىٰ ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم:٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤].

وقال آمرًا بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس: ٧٩].

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيه شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فصلت: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [سورة ق: ٩-١١]

وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق. وهذا الزعم باطل بالشرع، والحس، والعقل:

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر.

وفي صحيح البخاري - من حديث - ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما**» وذكر الحديث، وفيه: «**أن أحدهما كان لا يستتر من البول**» وفي - رواية - «**من (بوله) وأن الآخر كان يمشي بالنميمة**»(١).

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢١٦، ٢١٨، ١٣٦١، ١٣٧٨، ٦٠٥٢، ٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢).

وأما الحس: فإن النائم يرىٰ في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحيانًا مما رأىٰ، ومع ذلك فهو علىٰ فراشه في حجرته علىٰ ما هو عليه، والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالىٰ «وفاة» قال الله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة الزمر: ٤٢].

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرىٰ الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأىٰ النبي ﷺ علىٰ صفته، ومن رآه علىٰ صفته فقد رآه حقًّا ومع ذلك فالنائم في حجرته علىٰ فراشه بعيدًا عما رأىٰ، فإن كان هذا ممكنًا في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكنًا في أحوال الآخرة؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه علىٰ أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحًا ... وآفتهُ من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوىٰ المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرىٰ النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه. ولقد

كان النبي ﷺ يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلِّمه، والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالىٰ من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبحُ بحمد الله تسبيحًا حقيقيًّا يُسمعه الله تعالىٰ من شاء من خلقه أحيانًا. ومع ذلك هو محجوب عنا.

وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ [سورة الإسراء:٤٤].

وهكذا الشياطين، والجن، يسعون في الأرض ذهابًا وإيابًا، وقد حضرت الجن إلىٰ رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولّوا إلىٰ قومهم منذرين. ومع هذا فهم محجوبون عنا.

وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [سورة الأعراف:٢٧].

وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

والقدر بفتح الدال: «تقدير الله تعالىٰ للكائنات، حسبما سبق علمه، واقتضته حكمته».

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالىٰ علم بكل شيء جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلقُ بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج: ٧٠].

وفي صحيح مسلم - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين.

قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص: ٦٨].

وقال ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ٦].

وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [سورة النساء: ٩٠].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الزمر: ٦٢]

وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [سورة الفرقان: ٢].

وقال عن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).

﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات:٩٦].

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [سورة النبأ:٣٩].

وقال: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢٣].

وقال في القدرة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [سورة التغابن:١٦]

وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة:٢٨٦].

وأما الواقع: فإن كان إنسان يعلم أنَّ له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة التكوير:٢٨-٢٩] ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٨] ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء:١٦٥].

ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالىٰ.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة**». فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: «**لا اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾** الآية».

وفي لفظ لمسلم: «**فكل ميسر لما خلق له**»(١) فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهىٰ عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالىٰ أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع.

قال الله تعالىٰ: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾[سورة التغابن:١٦].

وقال: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا**﴾[سورة البقرة:٢٨٦].

ولو كان العبد مجبرًا على الفعل لكان مكلفًا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالىٰ سر مكتوم لا يعلمُ به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنيه على علمٍ منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرىٰ الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتىٰ يدركه ولا يعدل عنه إلىٰ ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدلُ عما ينفعه في أمور دينه إلىٰ ما يضره ثم يحتج بالقدر؟! أفليس شأن الأمرين واحدًا؟!

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٤٥، ٤٩٤٦، ٤٩٤٧، ٤٩٤٩، ٦٢١٧، ٦٦٠٥، ٧٥٥٢)، ومسلم (٢٦٤٧، ٢٦٤٨).

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلىٰ بلد كلها فوضىٰ، وقتل، ونهب، وانتهاك للأعراض وخوف، وجوع، والثاني ينتهي به إلىٰ بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟

إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلىٰ بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبدًا أن يسلك طريق بلد الفوضىٰ، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتجُّ بالقدر؟!

مثال آخر: نرىٰ المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهىٰ عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلبًا للشفاء والسلامة، لا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله به ورسوله، أو يفعل ما نهىٰ الله عنه ورسوله ثم يحتج بالقدر؟!

السابع: أن المحتج بالقدر علىٰ ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدىٰ عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإنَّ اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه علىٰ حق الله تعالىٰ؟!

ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله. فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد علىٰ السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالىٰ.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلقُ بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [سورة الحديد: ٢٢-٢٣].

ويقول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمرهُ كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إنْ أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**» رواه مسلم(١). وقد ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: الجبرية الذين قالوا إنَّ العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إنَّ العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر. والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه.

قال الله تعالى: ﴿ **مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ** ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩).

للظَّالمينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [سورة الكهف:٢٩] .

وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [سورة فصلت:٤٦] .

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلمُ الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع، والشراء، وبين ما يقعُ عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه. والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل.

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة السجدة:١٣] .

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

الإيمان باللَّه يشمل الإيمان بوجوده وأنه واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، والإيمان بالملائكة وهم خلق من خلقه سبحانه وكَّلهم بتصريف العالم فيأمرهم وينفذون.

والإيمان بأوصافهم وأعمالهم، وهذا تفصيلاً.

الإيمان بالقدر على مرتبتين وهما :

المرتبة الأولى :الإيمان بالقدر السابق لوقوع المقدر وهو يشمل درجتين :

١ ـ العلم السابق ، فإنه سبحانه يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن وما لم يكن لو كان كيف يكون ، علمه بكل شيء بتفصيل الأشياء وجزئياتها . وهذا العلم علمه سبحانه أو ليس له بداية .

٢ ـ الكتابة ، أن اللَّه كتب أعمال الخلق وكل شيء في كتاب محفوظ عنده كما قال سبحانه : ﴿**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ**﴾ وغيرها من الآيات .

وفي صحيح مسلم : «**قدر اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة**» [(١)].

المرتبة الثانية :وهي تقارن وقوع المقدَّر ويشمل :

١ ـ المشيئة ، أن ماشاء اللَّه كان وما لم يشأ لا يكون ، فلا يحصل شيء إلا واللَّه قد أراده كونًا وشاءه سواء الطاعة أو المعصية .

٢ ـ الخلق ، فاللَّه خلق كل شيء ، فإذا أراد العبد شيئًا ولم يرده اللَّه كونًا لم يقع ، كما قال سبحانه : ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ .

فالفعل فعل العبد حقيقة ولكن الفاعل هو اللَّه سبحانه وتعالى .

❑ ❑ ❑

(١) صحيح: تقدم .

المرتبة الثالثة

قوله: (الإحسان ركن واحد، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك):

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

الإحسان: ضد الإساءة وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذى فيبذل المعروف لعباد الله في ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه.

فأما المال: فأن ينفق ويتصدق ويزكي وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلا بها، وهي أحب النفقات إلى الله عز وجل، ويلي ذلك، ما يجب على الإنسان من نفقة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبني إخوته، وأخواته، وأعمامه، وعماته، و خالاته إلى آخر هذا، ثم الصدقة على المساكين وغيرهم، ممّن هم أهل للصدقة كطلاب العلم مثلاً.

وأما بذل المعروف في الجاه: فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذوي السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلى ذي سلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرر عنه، أو بجلب خير له.

وأما بعلمه: فأن يبذل علمه لعباد الله، تعليمًا في الحلقات والمجالس العامة والخاصة، حتى لو كنت في مجلس قهوة، فإن من الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت في مجلس عام فمن الخير أن تعلّم الناس، ولكن استعمل الحكمة في هذا الباب، فلا تثقل على الناس حيث كلّما جلست في مجلسًا جعلت تعظهم وتتحدث إليهم، لأن النبي ﷺ كان يتخولهم بالموعظة، ولا يكثر، لأن النفوس

تسأم وتمل فإذا ملت كلت وضعفت، وربما تكره الخير لكثرة من يقوم ويتكلم.

وأما الإحسان إلى الناس بالبدن: فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة**»(١). فهذا رجل تعينه تحمل متاعه معه، أو تدله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلى عباد الله.

وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله: فأن تعبد اللّه كأنك تراه، كما قال النبي ﷺ، وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثًا عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرَّب إليه سبحانه وتعالى، «**فَإن لَم تَكُن تَراه فَإنَّه يَراك**»، وهذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان، إذا لم تكن تعبد الله -عز وجل- كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه الدرجة عند أرباب السلوك أدنى من الدرجة الأولى.

وعبادة الله -سبحانه وتعالى- هي كما قال ابن القيم -رحمه الله-:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما ركنان

فالعبادة مبنية على هذين الأمرين: غاية الحب، وغاية الذل، ففي الحب الطلب، وفي الذل الخوف والهرب، فهذا هو الإحسان في عبادة الله عز وجل.

وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه، فإنه سوف يكون مخلصًا لله -عز وجل- لا يريد بعبادته رياء ولا سمعة، ولا مدحًا عند الناس، وسواء اطلع الناس عليه أم لم يطَّلعوا، الكل عنده سواء، وهو محسن العبادة على كل حال، بل إن

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٠٩).

من تمام الإخلاص أن يحرص الإنسان على ألا يراه الناس في عبادته، وأن تكون عبادته مع ربه سراً، إلا إذا كان في إعلان ذلك مصلحة للمسلمين أو للإسلام، مثل أن يكون رجلاً متبوعًا يقتدى به، وأحب أن يبين عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نبراسًا يسيرون عليه، أو كان هو يحب أن يظهر العبادة ليقتدي بها زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففي هذا خير، وهذه المصلحة التي يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة الإخفاء، لهذا يثني الله - عز وجل - على الذين ينفقون أموالهم سراً وعلانية، فإذا كان السر مصلحة للإسلام بظهور شرائعه، وللمسلمين يقتدون بهذا الفاعل وهذا العامل أعلنوه.

والمؤمن ينظر ما هو الأصلح، كلما كان أصلح وأنفع في العبادة فهو أكمل وأفضل.

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

الإحسان: هو مراقبة العابد لربه أثناء عبادته لربه جل وعلا بل وفي أحواله كلها فيعلم أن اللَّه مطلع عليه بسمعه ويبصره وخلجات صدره وتحركاته.

❑ ❑ ❑

- **قوله: والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾).**

• الشرح •

- **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

وجه الاستدلال: أن اللَّه جل وعلا ذكر هنا معيته للذين اتقوا أو لمن هم محسنون، وهذه المعية تقتضي في هذا الموضع شيئين:

الأول: أن اللَّه جل وعلا مطلع عليهم عالم بهم محيط بأحوالهم لا يفوته

شيء من أحوالهم.

الثاني: أن اللَّه جل وعلا معهم ناصراً لهم بتأييده ونصره وتوفيقه وتسديده.

والمحسن: اسم فاعل الإحسان.

❑ ❑ ❑

●**قوله**: (**وقوله تعالى**: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾).

• الشرح •

●**قال الشيخ صالح آل الشيخ**:

وجه الاستدلال: أنه ذكر رؤية اللَّه جل وعلا لنبيه حال عبادته وأنه يراه في جميع أحواله وتقلبه في الساجدين من صحابته أثناء صلاته بهم ﷺ. وقوله ﴿**الَّذِي يَرَاكَ**﴾ دليل للشق الثاني من ركن الإحسان وهو: فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

❑ ❑ ❑

●**قوله**: (**وقوله تعالى**: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾).

• الشرح •

●**قال الشيخ صالح آل الشيخ**:

وجه الاستدلال: في قوله ﴿**إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾ وشهود اللَّه جل وعلا لما يعلمه العباد من معاينة رؤيته لهم، فاللَّه جل وعلا يرى أعمالكم تلك على جميع تفصيلاتها.

● قوله: (الدليل من السنة حديث جبريل المشهور عن عُمر بن الْخطّاب رضي الله عنه قَال: بَيْنمَا نحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عنْدَ نَبيِّ اللَّه ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنا رَجُلٌ شَديدُ بَياض الثِّياب شَديدُ سَواد الشَّعَر لا نَرى علَيْه أَثَرَ السَّفَر ولا يعْرفُهُ منّا أَحَدٌ حتَّى جلَسَ إِلى نَبيِّ اللَّه ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْه إِلى رُكْبَتَيْه ووَضَعَ كَفَّيْه على فَخذَيْه ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ أَخْبرْني عَن الإِسْلام ما الإِسْلامُ فَقالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه وَتُقيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتي الزَّكاةَ وَتَصُومَ رَمَضانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْه سَبيلاً قالَ: صَدَقْت قالَ: فَعَجبْنا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قالَ ثُمَّ قالَ: أَخْبرْني عَن الإِيمَانُ قالَ: أَنْ تُؤْمنَ باللَّه ومَلائكته وكُتُبه وَرُسُله وَالْيَوْم الآخر وَالْقَدَر كُلِّه خَيْره وَشَرِّه قالَ: صَدَقْتَ قَالَ: فَأَخْبرْني عَن الإِحْسَان مَا الإِحْسَانُ؟ قالَ يَزيدُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قالَ: فَأَخْبرْني عَن السَّاعَة قالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ بهَا من السَّائل قالَ: فَأَخْبرْني عَنْ أَمَارَاتهَا قَالَ: أَنْ تَلدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ رعَاءَ الشَّاء يَتَطَاوَلُونَ في الْبنَاء قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ قَالَ: فَلَبثَ مَليًّا قَالَ يَزيدُ: فَقَالَ لي رَسُولُ اللَّه ﷺ يَا عُمَرُ أَتَدْري مَن السَّائلُ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّهُ جبْريلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دينَكُمْ»[1]).

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام، وغالب هذا الحديث تقدم شرحه ولنا شرح عليه في مجموع الفتاوىٰ والرسائل ٣/ ١٤٣.

◻ ◻ ◻

(١) صحيح: تقدم.

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ

● قوله: (**الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ**):

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

أي من الأصول الثلاثة التي يجب علي الإنسان معرفتها وهي معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه.

وقد سبق الكلام على معرفة العبد ربه ودينه. وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور:

الأول: معرفته نسبًا فهو أشرف الناس نسبًا فهو هاشمي قرشي عربي فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ رحمه الله.

الثاني: معرفة سنّه، ومكان ولادته، ومهاجره وقد بينها الشيخ بقوله: «وله من العمر ثلاث وستون سنة، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة» فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثًا وخمسين سنة، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشرة بعد الهجرة.

الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحي إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه:

وأتت عليه أربعون فأشرقت ... شمس النبوة منه في رمضان

الرابع: بماذا كان نبيًّا ورسولاً؟ فقد كان نبيًّا حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿**اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذي عَلَّمَ بالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [سورة العلق: ١-٥].

ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢)**

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾[سورة المدثر: ١-٧] .

فقام ﷺ فأنذر وقام بأمر الله عز وجل .

والفرق بين الرسول والنبي كما يقول أهل العلم : أن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، والرسول من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً .

الخامس : بماذا أرسل ولماذا؟

فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور ، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه .

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ :**

المراد بالمعرفة هنا : العلم به ، كما تقدم والعلم به وبحاله ونسبه وأنه من أشرف العرب وعمره ونبوته ونحو ذلك . فحقيقة هذا الأصل العلم ببعض سيرة النبي ﷺ ، وهذا العلم لتكون الشهادة بأن محمداً رسول اللّه عن علم ومعرفة ، فلو قيل له : من محمد؟ فلم يعرفه كانت شهادته مدخولة ، ولهذا فإن معرفة هذا الأصل يكون به جواب سؤال الملك الثالث في القبر (من نبيك؟) .

❑ ❑ ❑

● قوله: (وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش)

● الشرح ●

● قال الشيخ صالح آل الشيخ:

قال طائفة من أهل العلم: لم يُسم أحد قبله بمحمد، وقال غيرهم: بل سمت العرب لكن قليل. و(محمد) معناه كثير الخصال التي يستحق عليها الحمد، (وذو العرش محمود وهذا محمد) وتسمية جده له بهذا الاسم على رجاء أن يكون من أهل خصال الخير التي يكثر حمد الناس له عليها، وهذا واضح وظاهر فيه ﷺ حتى قبل البعثة، فهي تسمية فيها تفاؤل فكثير من العرب كانوا إذا سموا رأوا المعنى مثل: خالد - وعاصيًا (ليكون عاصيًا على الأعداء) - وصخرًا ونحوها. قال ﷺ: «فأنا خيار من خيار من خيار»[(١)].

❑ ❑ ❑

● قوله: (وقريش من العرب والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)

● الشرح ●

● قال الشيخ صالح آل الشيخ:

العرب: أي المستعربة فالعرب قسمان:

١ - عرب عاربة وهؤلاء انقرضوا إلا قحطان في اليمن.

٢ - وعرب مستعربة فهم لم يكونوا أصلاً من العرب لكنهم صاروا عربًا

---

(١) ضعيف: ذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٢٤٨) ترجمة حماد بن واقد، وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (١٥٣٤).

بانفتاق لسانهم عن العربية. وأكثر قبائل العرب من العرب المستعربة وهم العرب.

وقد جاء في الحديث الصحيح: «**أول من فتق لسانه بالعربية الفصحى إسماعيل عليه السلام**»(١).

والرسول ﷺ هو ابن (عبد اللَّه) والده الأدنى وإسماعيل والده الأعلى، فقد جاء في الحديث الضعيف السند الصحيح المعنى: «**أنا ابن الذبيحين**»(٢).

وصف إبراهيم عليه السلام بأنه خليل اللَّه، وموسى عليه السلام بأنه كليم اللَّه، أما محمد ﷺ نبينا فقد اجتمع فيه الوصفان اللذان خُصَّ بهما إبراهيم وموسى.

❑ ❑ ❑

● **قوله: (وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا ورسولاً، نبئ بـ ﴿اقْرَأْ﴾ وأرسل بـ ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾).**

● الشرح ●

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

نبئَ: أي من (النبوءة) بالهمز، ونبيّ من (النبوة) وفرق بينهما، وفرق بين النبي والنبيء لغة، أما من حيث الشرع فهما واحد وهما قراءتان سبعيتان مشهورتان متواترتان.

والنبوة: من الارتفاع كأنه صار في نبوة من المكان أي في مرتفع منه وسببه الإنباء، والنبوءة: من الأنباء، أنبئه فصار نبيًّا أي منبئًا.

❑ ❑ ❑

(١) صححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٨١).

(٢) رواه الطبري في التفسير (٢٣/ ٨٥)، والتاريخ (١/ ١٥٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٤، ٦٠٩)، واستغربه ابن كثير في التفسير (٤/ ١٩).

● قوله: (وبلده مكة):

• الشرح •

● قال الشيخ صالح آل الشيخ:

وكان يحبها.

❑ ❑ ❑

● قوله: (بعثه الله بالنذراة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد)

• الشرح •

● قال الشيخ صالح آل الشيخ:

الإنذار هو الإعلام عن شيء فيه تخويف عن شيء يمكن تداركه لكن وقت تداركه يطول بخلاف الإشعار.

❑ ❑ ❑

● قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظِّمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك؛ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرجز: الأصنام وهجرها تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها. وأخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد):

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

أي ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ النداء لرسول الله ﷺ .

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يقوم بجد ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه وقد فسر الشيخ هذه الآيات .

قوله : (وأخذ على هذا) : أي أن النبي ﷺ ، بقي عشر سنين يدعو إلىٰ توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة سبحانه وتعالىٰ .

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ :**

فقوله ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظمه بالتوحيد ، وهذا من العلم الغزير لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه تعالىٰ وذلك لما يأتي .

لأن التكبير جاء في القرآن على خمسة معانٍ :

١ ـ فتكبير اللَّه جل وعلا يكون في ربوبيته ، يعني : اعتقاد أنه أكبر من كل شيء يرىٰ أو يتوهم أنه موجود في ربوبيته .

٢ ـ أن اللَّه جل وعلا أكبر من كل شيء في استحقاقه الألوهية والعبادة وحده دونما سواه ، فإن صرفت العبادة لغير اللَّه فاللَّه سبحانه أكبر وأعظم وأجل من كل هذه الآلهة التي صرفت لها أنواع من العبادة .

٣ ـ اعتقاد أن اللَّه أكبر من كل شيء في أسمائه وصفاته فإنه أكبر من كل الأسماء لما فيها من الحسن والجلال والجمال والعظمة ، وكذلك في صفاته كما قال سبحانه : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي الاسم والوصف الأعلىٰ ، قال : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ، وقال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ .

٤ ـ يعني في قضائه وقدره الكوني ، فاللَّه جل وعلا أكبر يعني أن قضاءه وقدره له فيه الحكمة البالغة ، وأما ما يقدره العباد لأنفسهم فإن هذا الأمر يناسب نقص العباد .

٥ ـ تكبير اللَّه جل وعلا في شرعه وأمره يعني اعتقاد أن اللَّه أكبر فيما أمر به

ونهى عنه وفيما أنزله في هذا القرآن العظيم أكبر من كل ما يشرعه العباد.

ولذلك كانت هذه الكلمة (اللَّه أكبر) هي شعار المسلمين، ولذلك يبدأ بها في الصلاة. وإذا اجتمعت هذه الخمس تقول: (عظمه بالتوحيد).

وقوله (﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك) فسر الأعمال بالثياب. أصل الثوب في اللغة: ما يثوب إلى صاحبه أي ما يرجع إلى صاحبه، وسمي اللباس ثوبًا: لأنه يرجع إلى صاحبه في التباسه به حال لبسه. ويقال للعمل ثوب وتجمع ثياب باعتبار أنه يرجع إلى صاحبه لذلك فسرها بذلك.

أو يقال: إن العمل مشبه بالثوب لملازمته لصاحبه كما قال سبحانه: **﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾**، وفسرت الآية بتطهير الثوب من النجاسات، والأول أنسب لمناسبته لما قبله ولما بعده.

وقوله (﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ الرجز: الأصنام) الرجز اسم عام لما يعبد من دون اللَّه. والصنم اسم لما عبد من دون اللَّه على هيئة صورة، فإن كان ليس على هيئة صورة صار اسمه (وثن)، لذلك قال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[1]، وقال بعض أهل العلم: وقد يكون (الوثن) ما له صورة فيكون كل صنم وثنًا وليس كل وثن صنمًا.

قال سبحانه: **﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾** فالوثن أعم من الصنم.

❑ ❑ ❑

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٤٦).

● قوله: (وبعد العشر عُرج به إلى السماء وفُرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة):

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

العروج: الصعود ومنه قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سورة المعارج:٤] وهو من خصائص النبي ﷺ العظيمة التي فضله الله به قبل أن يهاجر من مكة، فبينما هو نائم في الحجر في الكعبة أتاه آت فشق ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه ثم استخرج قلبه فملأه حكمة وإيمانًا تهيئة لما سيقوم به ثم أتي بدابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار يقال لها البراق يضع خطوه عند منتهى طرفه فركبه ﷺ وبصحبته جبريل الأمين حتى وصل بيت المقدس فنزل هناك وصلى بالأنبياء إمامًا بكل الأنبياء والمرسلين يصلون خلفه ليتبين بذلك فضل رسول الله ﷺ وشرفه وأنه الإمام المتبوع، ثم عرج به جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء ففتح له فوجد فيها آدم فقال جبريل: هذا أبوك آدم فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فرد عليه السلام، وقال مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، وإذا على يمين آدم أرواح السعداء وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته فإذا نظر إلى اليمين سر وضحك وإذا نظر قبيل شماله بكى، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح .. إلخ. فوجد فيها يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وهما ابنا الخالة كل واحد منهما ابن خالة الآخر فقال جبريل: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما فسلَّم عليهما، فردا السلام وقالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثالثة فاستفتح ... إلخ. فوجد فيها يوسف عليه الصلاة والسلام فقال جبريل: هذا

يوسف فسلِّم عليه فسلَّم عليه، فرد السلام، وقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرج به جبريل إلىٰ السماء الرابعة فاستفتح . . . إلخ. فوجد فيها إدريس ﷺ فقال جبريل: هذا إدريس فسلِّم عليه فسلَّم عليه فرد السلام، وقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلىٰ السماء الخامسة فاستفتح . . . إلخ. فوجد فيها هارون بن عمران أخا موسىٰ ﷺ فقال جبريل: هذا هارون فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فرد عليه السلام وقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلىٰ السماء السادسة فاستفتح . . . إلخ. فوجد فيها موسىٰ ﷺ فقال جبريل: هذا موسىٰ فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فرد عليه السلام وقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزه بكىٰ فقيل له: ما يبكيك؟ قال: «أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي» فكان بكاء موسىٰ حزنًا علىٰ ما فات أمته من الفضائل لا حسدًا لأمة محمد ﷺ، ثم عرج به جبريل إلىٰ السماء السابعة فاستفتح . . . إلخ. فوجد فيها إبراهيم خليل الرحمن ﷺ فقال جبريل: هذا أبوك إبراهيم فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فرد عليه السلام وقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح. وإنما طاف جبريل برسول الله ﷺ، علىٰ هؤلاء الأنبياء تكريمًا له وإظهاراً لشرفه وفضله ﷺ وكان إبراهيم الخليل مسنداً ظهره إلىٰ البيت المعمور في السماء السابعة الذي يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة يتعبدون ويصلون ثم يخرجون ولا يعودون، في اليوم الثاني يأتي غيرهم من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله، ثم رفع النبي ﷺ إلىٰ سدرة المنتهىٰ فغشيها من أمر الله من البهاء والحسن ما غشيها حتىٰ لا يستطيع أحد أن يصفها من حسنها ثم فرض الله عليه الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة فرضي بذلك وسلم ثم نزل فلما مر بموسىٰ قال: ما فرض ربك علىٰ أمتك؟ قال: خمسين صلاة في كل يوم. فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة

فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال النبي ﷺ: فرجعت فوضع عني عشراً وما زال يراجع ربه حتى استقرت الفريضة على خمس، فنادى منادٍ: أمضيت فريضتي وخففت على عبادي (١)

وفي هذه الليلة أدخل النبي ﷺ الجنة فإذا فيها قباب اللؤلؤ وإذا ترابها المسك ثم نزل رسول الله ﷺ حتى أتى مكة بغلس وصلى فيها الصبح.

وكان يصلي الرباعية ركعتين حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر (٢)

أمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بالهجرة إلى المدينة لأن أهل مكة منعوه أن يقيم دعوته، وفي شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر من البعثة وصل النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً من مكة البلد الأول للوحي وأحب البلاد إلى الله ورسوله، خرج من مكة مهاجراً بإذن ربه بعد أن قام بمكة ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربه ويدعو إليه على بصيرة فلم يجد من أكثر قريش وأكابرهم سوى الرفض لدعوته والإعراض عنها، والإيذاء الشديد للرسول ﷺ، ومن آمن به حتى آل الأمر بهم إلى تنفيذ خطة المكر والخداع لقتل النبي ﷺ حيث اجتمع كبراؤهم في دار الندوة وتشاوروا ماذا يفعلون برسول الله ﷺ حين رأوا أصحابه يهاجرون إلى المدينة وأنه لابد أن يلحق بهم ويجد النصرة والعون من الأنصار الذين بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وحينئذ تكون له الدولة على قريش، فقال عدو الله أبو جهل: الرأي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًّا جَلِدًا ثم نعطي كل واحد سيفًا صارمًا ثم يعمدوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف - يعني

(١) حديث الإسراء و المعراج رواه البخاري (٣٢٠٧، ٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤) وغيرهما.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٠، ١٠٩٠)، ومسلم (٦٨٥).

عشيرة النبي ﷺ - أن يحاربوا قومهم جميعًا فيرضون بالدية فنعطيهم إياها .

فأعلم الله نبيه ﷺ بما أراد المشركون وأذن له بالهجرة وكان أبو بكر رضي الله عنه قد تجهز من قبل للهجرة إلى المدينة فقال له النبي ﷺ : على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي . فتأخر أبو بكر رضي الله عنه ليصحب النبي ﷺ ، قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة في منتصف النهار إذا برسول الله ﷺ على الباب متقنعًا فقال أبوبكر : فداء له أبي أمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . فدخل النبي ﷺ وقال لأبي بكر : أخرج من عندك . فقال : إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي . فقال النبي ﷺ : قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله . قال : نعم . فقال : يا رسول الله فخذ إحدى راحلتي هاتين . فقال النبي ﷺ : بالثمن ثم خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر فأقاما في غار جبل ثور ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وكان غلامًا شابًا ذكيًا واعيًا فينطلق في آخر الليل إلى مكة فيصبح من قريش فلا يسمع بخبر حول النبي ﷺ وصاحبه إلا وعاه حتى يأتي به إليهما حين يختلط الظلام ، فجعلت قريش تطلب النبي ﷺ من كل وجه وتسعى بكل وسيلة ليدركوا النبي ﷺ حتى جعلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما ديته مائة من الإبل ، ولكن الله كان معهما يحفظهما بعنايته ويرعاهما برعايته حتى إن قريشًا ليقفون على باب الغار فلا يرونهما . قال أبو بكر رضي الله عنه قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا . فقال : «**لا تحزن إن الله معنا ، ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**»[1] . حتى إذا سكن الطلب عنهما قليلاً خرجا من الغار بعد ثلاث ليال متجهين إلى المدينة على طريق الساحل .

ولما سمع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بخروج رسول الله ﷺ إليهم

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٥٣، ٣٩٢٢، ٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١) .

كانوا يخرجون صباح كل يوم إلىٰ الحرة ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ، وصاحبه حتىٰ يطردهم حر الشمس، فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ وتعالىٰ النهار واشتد الحر رجعوا إلىٰ بيوتهم وإذا رجل من اليهود علىٰ أطم من آطام المدينة ينظر لحاجة له فأبصر رسول الله ﷺ وأصحابه مقبلين يزول بهم السراب فلم يملك أن نادىٰ بأعلىٰ صوته: يا معشر العرب هذا جدكم - يعني هذا حظكم وعزكم - الذي تنتظرون فهبَّ المسلمون للقاء رسول الله ﷺ معهم السلاح تعظيمًا وإجلالاً لرسول الله ﷺ وإيذانًا باستعدادهم للجهاد والدفاع دونه رضي الله عنه فتلقوه ﷺ بظاهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين ونزل في بني عمرو بن عبد عوف في قباء، وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد، ثم ارتحل إلىٰ المدينة والناس معه وآخرون يتلقونه في الطرقات قال أبوبكر رضي الله عنه: «خرج الناس حين قدمنا إلىٰ المدينة في الطرق وعلىٰ البيوت والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد».

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

المعراج معناه: الصعود، ومن أسماء السلم المعراج. وعُرج به: أي صعد به.

فأسري بالنبي ﷺ من مكة إلىٰ بيت المقدس ثم عرج به، فذهب بالدابة إلىٰ بيت المقدس وربطت هناك ثم أخذه جبريل إلىٰ السماء بالمعراج أي السلم الذي صعد فيه إلىٰ السماء أي السموات حتىٰ قرب من ربه وكلمه بدون واسطة ورأىٰ نور اللّٰه سبحانه وتعالىٰ ورأىٰ الحجاب الذي احتجب به عن خلقه، وهذا من الفضل العظيم له ﷺ، والسماء الواحدة لا يقطعها القاطع إلا في خمسمائة عام وبين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام ثم بعد ذلك الماء ثم الكرسي.

❑ ❑ ❑

قوله: (الهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلدالإسلام)

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

الهجرة في اللغة: «مأخوذة من الهجر وهو الترك».

وأما في الشرع فهي كما قال الشيخ: «الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام». وبلد الشرك هو الذي تقام فيه شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل، وإنما قلنا على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام، أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل.

فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

● قال الشيخ صالح آل الشيخ:

هذا تعريفها الاصطلاحي.

وفي اللغة: الترك.

وفي الشرع: ترك ما لا يحبه اللَّه ولايرضاه إلى ما يحبه ويرضاه، ويدخل في هذا المعنى: هجر الشرك وترك محبة غير اللَّه ورسوله، ويدخل فيه ترك بلد الكفر.

وسبب إيجاب أو مشروعية الهجرة: أن المؤمن يجب عليه أن يظهر دينه معتزاً بذلك مبيناً للناس أنه يشهد شهادة الحق وهذه الشهادة بالقول والعمل.

بلد الشرك: هي كل بلد يظهر فيها الشرك ويكون غالبًا، سواء كان في الألوهية أو الربوبية أو مقتضياتهما.

وسئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن دار الكفر؟ فقال: هي التي ينتشر فيها الكفر ويكون فيها غالبًا.

وهذا باعتبار الشرك أما باعتبار أهل الدار ففيها خلاف.

الهجرة من حيث مكانها تنقسم إلى قسمين:

١ ـ **هجرة عامة**: وهي التي عرفها الشيخ وهي باقية إلى قيام الساعة.

٢ ـ **هجرة خاصة**: وهي الهجرة من مكة إلى المدينة، كما في الحديث: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**»[1].

الهجرة من حيث الحكم: تارة تكون واجبة وتارة تكون مستحبة.

١ ـ **وتكون واجبة**: إذا لم يمكن للمسلم أن يظهر دينه وإذا لم يستطع أن يظهر التوحيد وشعائر دينه، أو اتباع السنة فتجب عليه الهجرة، ودليله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ...**﴾ الآية.

٢ ـ **وتكون مستحبة**: إذا كان المؤمن في دار الشرك يستطيع أن يظهر دينه، وذلك لأن القصد الأول من الهجرة إظهار الدين.

وهناك هجرة أخرى: وهي هجرة من دار يكثر فيها المعاصي والبدع إلى دار لا يظهر فيها ذلك، وذكر علماء الحنابلة أنها هجرة مستحبة. وقد هاجر جمع من أهل العلم من بغداد لما كثرت فيها المعاصي والبدع والكبائر وبعضهم بقي فيها للإنكار، وكثير من العلماء تركوا مصر لما استولى عليها العبيديون.

❑ ❑ ❑

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٨٣، ٢٨٢٥، ٣٨٩٩، ٤٣١١)، ومسلم (١٨٦٤).

● قوله: (وهي باقية إلي أن تقوم الساعة.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (سورة النساء:٩٧-٩٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة العنكبوت:٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: «سَبَبُ نُزُوْلِ هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِيْنَ الَّذِيْنَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيْمَانِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: «لاَ تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلاَ تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»):

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

في هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم على الهجرة أن الملائكة تتوفاهم وتوبخهم وتقول لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

قوله: (قال البغوي): الظاهر أن الشيخ رحمه الله نقل هذا عن البغوي بمعناه، هذا إن كان نقله من التفسير إذ ليس المذكور في تفسير البغوي لهذه الآية بهذا اللفظ.

قوله: (حتى تطلع الشمس من مغربها): وذلك حين انتهاء العمل الصالح

المقبول قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [سورة الأنعام:١٥٨]، والمراد ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

قوله: (وهي باقية إلى أن تقوم الساعة): أي: إلىٰ قرب قيام الساعة، أي بعد طلوع الشمس من مغربها.

❑ ❑ ❑

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

(تتمة):

نذكر هنا حكم السفر إلى بلاد الكفر:

فنقول: السفر إلىٰ بلاد الكفر لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجًا إلىٰ ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلىٰ بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلىٰ ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين علىٰ ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلىٰ بلاد إسلامية يحافظ أهلها علىٰ شعائر الإسلام، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلادًا سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.

وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين المسلم، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فُسَّاقًا، وبعضهم رجع مرتدًّا عن دينه وكافرًا به وبسائر الأديان ـ والعياذ بالله ـ حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوي في تلك المهالك.

فالإقامة في بلاد الكفر لابد فيها من شرطين أساسيين:

الشرط الأول: أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمرًا لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعدًا عن موالاتهم، ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان بالله.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥١-٥٢].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «**أن من أحب قومًا فهو منهم، وأن المرء مع من أحب**»(١).

ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطرًا على المسلم لأن محبتهم تستلزم

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٦٨، ٦١٦٩، ٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١) بلفظ: «المرء مع من أحب».

موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ﷺ: «من أحب قومًا فهو منهم».

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ، قال في المغني ص٤٥٧ جـ٨ في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه من إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [سورة النساء: ٩٧]. وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. اهـ.

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين **تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام**:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها؛ لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»(١).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٦١).

القسم الثاني : أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك؛ ليحذِّر الناس من الاغترار بهم، ويبيِّن للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضًا لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لابد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[سورة الأنعام:١٠٨] .

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عينًا للمسلمين؛ ليعرف ما يدبرونه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى شئون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول بلاد الكفر للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم .

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها

أخطر منها وأشد فتكًا بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلىٰ معلمه فيؤدي ذلك إلىٰ التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال. والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلىٰ الشرطين الأساسيين **شروط**:

الشرط الأول: أن يكون الطالب علىٰ مستوىٰ كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلىٰ المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث «صغار السن» وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم علىٰ دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر علىٰ أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيرًا من أولئكم المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلىٰ مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقًا أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقىٰ حيران أو يتبع الباطل.

وفي الدعاء المأثور «**اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا عليَّ فأضلَّ**».

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة

المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله**»[1]. وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة.

وعن قيس بن حازم عن النبي ﷺ قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»، قالوا يا رسول الله ولم؟ قال: «**لا تراءى نارهما**»[2] رواه أبو داود والترمذي وأكثر الرواة رووه مرسلاً عن قيس بن حازم عن النبي ﷺ، قال الترمذي: سمعت محمداً - يعني البخاري - يقول: الصحيح حديث قيس عن النبي ﷺ، مرسل. اهـ.

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٢٧٨٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١٨٦).

(٢) رواه النسائي (٤٧٨٠)، وأبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤) وقال المباركفوري في التحفة: «ورجال إسناده ثقات، ولكن صحح البخاري وأبو حاتم وأبو داود والترمذي والدارقطني إرساله إلى قيس بن أبي حازم، ورواه الطبراني أيضًا موصولاً كذا في النيل».

وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضىٰ به، بل ينتسب إلىٰ تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلىٰ بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلىٰ أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم.

هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقًا للحق والصواب.

❏ ❏ ❏

● **قوله: (فَلَمَا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِيْنَة أَمَرَ بِبَقِيَّة شَرَائِعِ الإِسْلام مِثْلُ: الزَّكَاة، والصَّوم، وَالحَجِّ، والجِهَاد، وَالأَذَان، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوف وَالنَّهِي عَنِ المُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلكَ مَنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ):**

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

يقول المؤلف رحمه الله تعالىٰ: لما استقر - أي النبي ﷺ - في المدينة النبوية أمر ببقية شرائع الإسلام وذلك أنه في مكة دعا إلىٰ التوحيد نحو عشر سنين، ثم بعد ذلك فرضت عليه الصلوات الخمس في مكة، ثم هاجر إلىٰ المدينة ولم تفرض عليه الزكاة ولا الصيام ولا الحج ولا غيرها من شعائر الإسلام وظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن الزكاة فرضت أصلاً وتفصيلاً في المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الزكاة فرضت أولاً في مكة لكنها لم تقدر أنصابها ولم يقدر الواجب فيها، وفي المدينة قدرت الأنصبة وقدر الواجب.

واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سورة مكية مثل قوله تعالىٰ

في سورة الأنعام: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٤١]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة المعارج: ٢٤-٢٥].

وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنصابها وما يجب فيها وبيان مستحقيها كان في المدينة، وكذلك الأذان والجمعة، والظاهر أن الجماعة كذلك لم تفرض إلا في المدينة؛ لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض في السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرضا في السنة الثانية من الهجرة، وأما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال أهل العلم وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما من الشعائر الظاهرة كلها فرضت في المدينة بعد استقرار النبي ﷺ فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

❏ ❏ ❏

● **قوله: (أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا تُوُفِّي صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ):**

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

أخذ أي النبي ﷺ عشر سنين بعد هجرته فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين اختاره الله لجواره واللحاق بالرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فابتدأ به المرض صلوات الله وسلامه عليه في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، فخرج إلى الناس عاصبًا رأسه فصعد المنبر فتشهد وكان أول ما تكلم به بعد ذلك أن استغفر للشهداء، الذين قتلوا في أحد ثم قال: «**إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله**» ففهمها أبو بكر رضي الله عنه فبكى، وقال: بأبي وأمي نفديك بآبائنا وأمهاتنا، وأبنائنا،

وأنفسنا، وأموالنا فقال النبي ﷺ: «**على رسلك يا أبا بكر**» ثم قال: «**إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن خلة الإسلام ومودته**»(١). وأمر أبا بكر أن يصلي بالناس.

ولما كان يوم الاثنين الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة اختاره الله لجواره فلما نزل به جعل يدخل يده في ماء عنده ويمسح وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**» ثم شخص بصره نحو السماء وقال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**»(٢)، فتوفي ذلك اليوم فاضطرب الناس لذلك وحق لهم أن يضطربوا، حتى جاء أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾ [سورة آل عمران:١٤٤]، ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [سورة الزمر:٣٠]». فاشتد بكاء الناس وعرفوا أنه قد مات فغسل صلوات الله وسلامه عليه في ثيابه تكريمًا له، ثم كفن بثلاثة أثواب أي لفائف بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلى الناس عليه إرسالاً بدون إمام، ثم دفن ليلة الأربعاء بعد أن تمت مبايعة الخليفة من بعده فعليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

صلاة اللَّه تعالى على نبيه وعلى المؤمنين: ثناؤه عليهم في الملإ الأعلى، وهذا هو الصحيح لأن الصلاة لغة: الدعاء والثناء. أما من قال: بأن الصلاة من اللَّه بمعنى الرحمة فهذا ليس بصحيح قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٧، ٣٩٠٤، ٦٧٣٨)، ومسلم (٢٣٨٢).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٤٤٩، ٦٥١٠)، ومواضع.

النَّبِيِّ﴾ فالملائكة لا يمكن أن يرحموه لكنهم يمكن أن يثنوا عليه أو يدعوا له، ولذا في الحديث: «**من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً**»[1] أي: من سأل اللَّه أن يثني على نبيه في الملإ الأعلى فإن اللَّه جل وعلا يجزيه من جنس ثنائه وهو أنه يثني عليه بذلك عشر مرات في الملإ الأعلى.

❑ ❑ ❑

● **قوله: (وَهَـذَا دِيْنُهُ):**

● الشرح ●

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

يرجع إلى ما سبق في هذه الرسالة، أي: هذا الذي وُصف لَك فيما قبل.

❑ ❑ ❑

● **قوله: (لاَ خَيْرَ إِلاَّ دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلاَ شَرَّ إِلاَّ حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الذي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيْدُ، وَجَمِيْعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ. وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيْعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ):**

● الشرح ●

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

هذا من صفاته ﷺ، (جاء رجل مشرك لسلمان ﷺ فقال له: لقد علمكم رسولكم كل شيء حتى الخراءة؟ قال: نعم).

(ولا شر) أي لا شر كان أو لا شر سيكون إلا حذرها منه.

❑ ❑ ❑

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤).

● قوله: (بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كافَّةً، وَافْتَرضَ اللهُ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعُ الثَّقَلَيْنِ: الجِنِّ وَالإِنْسِ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[سورة الأعراف:١٥٨]):

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

بعثه الله أي أرسله، إلى الناس كافة أي جميعًا.

و في هذه الآية دليل على أن محمداً رسول الله ﷺ إلى الناس جميعًا وأن الذي أرسله لهم ملك السموات والأرض، ومن بيده الإحياء والإماتة، وأنه سبحانه هو المتوحد بالألوهية كما هو متوحد في الربوبية، ثم أمر سبحانه وتعالى في آخر الآية أن نؤمن بهذا الرسول النبي الأمي وأن نتبعه وأن ذلك سبب للهداية العلمية والعملية، هداية الإرشاد، وهداية التوفيق فهو عليه الصلاة والسلام رسول إلى جميع الثقلين وهم الإنس الجن وسموا بذلك لكثرة عددهم.

❑ ❑ ❑

● قوله: (وأَكمَلَ اللهُ به الدِّيْنَ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾[سورة المائدة:٣]):

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

أي إن دينه عليه الصلاة والسلام باق إلى يوم القيامة فما توفي رسول الله ﷺ إلا وقد بيَّن للأمة جميع ما تحتاجه في جميع شئونها حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: «ما ترك النبي ﷺ طائرًا يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا»[١].

(١) رواه أحمد (٢٠٨٥٤، ٢٠٩٢٨) بسند فيه إبهام.

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: علمكم نبيكم حتى الخراءة - آداب قضاء الحاجة - قال: «نعم لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي برجيع أو عظم»[١]. فالنبي ﷺ بيَّن كل الدين إما بقوله، وإما بفعله، وإما بإقراره ابتداءً أو جوابًا عن سؤال، وأعظم ما بيَّن عليه الصلاة والسلام التوحيد.

وكل ما أمر به فهو خير للأمة في معادها ومعاشها، وكل ما نهى عنه فهو شر للأمة في معاشها ومعادها، وما يجهله بعض الناس ويدعيه من ضيق في الأمر والنهي فإنما ذلك لخلل البصيرة وقلة الصبر وضعف الدين، وإلا فإن القاعدة العامة أن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج وأن الدين كله يسر وسهولة.

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: ٧٨]

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [سورة المائدة: ٦]

فالحمد لله على تمام نعمته وإكمال دينه.

❑ ❑ ❑

● **قوله: (وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِه ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[سورة الزمر: ٣٠-٣١]):**

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

ففي هذه الآية أن النبي ﷺ ومن أرسل إليهم ميتون وأنهم سيختصمون عند الله يوم القيامة فيحكم بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢).

سبيلاً.

● قال الشيخ صالح آل الشيخ:

النبي ﷺ قد مات لكنه في حياة برزخية هي أكمل وأفضل من حياة الشهداء وغيرهم.

❏ ❏ ❏

● قوله: (وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [سورة طه:٥٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [سورة نوح:١٧-١٨]):

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

بين رحمه الله تعالى في هذه الجملة أن الناس إذا ماتوا يبعثون، يبعثهم الله عز وجل أحياء بعد موتهم للجزاء، وهذا هو النتيجة من إرسال الرسل أن يعمل الإنسان لهذا اليوم يوم البعث والنشور، اليوم الذي ذكر الله سبحانه وتعالى من أحواله وأهواله ما يجعل القلب ينيب إلى الله عز وجل ويخشى هذا اليوم قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [سورة المزمل:١٧-١٨].

وفي هذه الجملة إشارة إلى الإيمان بالبعث واستدل الشيخ له بآيتين.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي من الأرض خلقناكم حين خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي بالدفن بعد الموت.

﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ أي بالبعث يوم القيامة .

﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم ﴾ هذه الآية موافقة تمامًا لقوله تعالىٰ : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [سورة طه:٥٥] .

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا وقد أبدئ الله عز وجل وأعاد في إثبات المعاد حتىٰ يؤمن الناس بذلك ويزدادوا إيمانًا ويعملوا لهذا اليوم العظيم الذي نسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يجعلنا من العاملين له ومن السعداء فيه .

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ :**

ونصَّ الشيخ علىٰ هذه المسألة لأن كثيراً من أهل البادية في عصره كانوا ينكرون البعث .

❑ ❑ ❑

● **قوله : (وَبَعْدَ البَعْثَ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بَأَعْمَالِهِمْ ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾** [سورة النجم:٣١]) :

• الشرح •

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :**

يعني أن الناس بعد البعث يجازون ويحاسبون علىٰ أعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر .

قال الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧] .

وقال جلّ وعلا: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠].

فالحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة فضلاً من الله عز وجل وامتنانًا منه سبحانه وتعالىٰ، فهو جل وعلا قد تفضل بالعمل الصالح، ثم تفضل مرة أخرىٰ بالجزاء عليه هذا الجزاء الواسع الكثير، أما العمل السيئ فإن السيئة بمثلها لا يجازىٰ الإنسان بأكثر منها قال تعالىٰ: ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [سورةالأنعام: ١٥٠]، وهذا من كمال فضل الله وإحسانه.

ثم استدل الشيخ لذلك بقوله تعالىٰ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ ولم يقل بالسوآي كما قال: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

❑ ❑ ❑

● قوله: (وَمَنْ كَذَّبَ بَالبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٧]):

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

من كذب بالبعث فهو كافر لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٩-٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣) كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُم

لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [سورة المطففين: ١٠-١٧]

وقال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ١١]

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٣]

واستدل الشيخ رحمه الله تعالى بقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية.

وأما إقناع هؤلاء المنكرين فبما يأتي:

أولاً: أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية، والشرائع السماوية، وتلقته أممهم بالقبول، فيكف تنكرونه وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر عن البعث لا في وسيلة النقل، ولا في شهادة الواقع؟!!

ثانيًا: أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك من وجوه:

١ - كل أحد لا ينكر مخلوقًا بعد العدم، وأنه حادث بعد أن لم يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن قادر على إعادته بالأولى.

كما قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الروم: ٢٧]

وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤]

٢ - كل أحد لا ينكر عظمة خلق السموات والأرض لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأولى.

قال الله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [سورة غافر: ٥٧]

وقال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الأحقاف:٣٣].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس:٨١، ٨٢].

٣ ـ كل ذي بصر يشاهد الأرض مجدبة ميتة النبات، فإذا نزل المطر عليها أخصبت وحيي نباتها بعد الموت، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة فصلت:٣٩].

ثالثًا: أن أمر البعث قد شهد الحس والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع إحياء الموتى، وقد ذكر الله تعالى من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث منها:

قوله: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].

رابعاً: أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثًا لا قيمة له، ولا حكمة منه، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [سورة المؤمنون:١١٥، ١١٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [سورة طه: ١٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة النحل: ٣٨-٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٧].

فإذا بينت هذه البراهين لمنكري البعث وأصروا علىٰ إنكارهم، فهم مكابرون معاندون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

❑ ❑ ❑

● **قوله: (وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ.**

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٥]) :

● الشرح ●

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

بيَّن المؤلف رحمه الله تعالىٰ أن الله أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالىٰ: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يبشرون من أطاعهم بالجنة وينذرون من خالفهم بالنار.

وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أهمها بل هو أهمها أن تقوم الحجة علىٰ الناس حتىٰ لا يكون لهم علىٰ الله حجة بعد إرسال الرسل كما قال تعالىٰ: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

ومنها أنه من تمام نعمة الله على عباده فإن العقل البشري مهما كان لا يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به، ولا يمكنه أن يطلع على ما لله تعالى من الصفات الكاملة، ولا يمكن أن يطلع على ما له من الأسماء الحسنى ولهذا أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وأعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد ﷺ التوحيد كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

وقال عز وجل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

❑ ❑ ❑

● قوله: (وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ [سورة النساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولاً مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُم عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل: ٣٦]):

● الشرح ●

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

بين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن أول الرسل نوح عليه

الصلاة والسلام واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [سورة النساء:١٦٣].

وثبت في الصحيح من حديث الشفاعة: «**إن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض**»(١) فلا رسول قبل نوح.

وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام قبل نوح بل الذي يظهر أن إدريس من أنبياء بني إسرائيل.

وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٤٠] فلا نبي بعده ومن ادعى النبوة فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام.

قوله: (وكل أمة...): أي أن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك.

ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر: ٢٤] وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

هذا هو معنى لا إله إلا الله.

❑ ❑ ❑

(١) متفق عليه: تقدم.

● قوله: (وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعُ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوْتِ والإِيْمَانَ بِاللَّه.

قَالَ ابْنَ الْقَيِّم -رَحِمَهُ الله- تَعَالَى-: الطَّاغُوْتَ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوْعٍ، أَوْ مُطَاعٍ):

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

أراد شيخ الإسلام رحمه الله بهذا أن التوحيد لا يتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت.

وقد فرض الله ذلك على عباده والطاغوت مشتق من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ١١] يعني لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني السفينة.

واصطلاحًا أحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- أنه -أي الطاغوت-: «كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع». ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عُبدوا -أو اتبعوا- أو أطيعوا فالأصنام التي تعبد من دون الله طواغيت، وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر، أو يدعون إلى البدع، أو إلى تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله طواغيت، والذين يزينون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت، لأن هؤلاء تجاوزوا حدهم، فإن حد العالم أن يكون متبعًا لما جاء به النبي ﷺ لأن العلماء حقيقة ورثة الأنبياء، يرثونهم في أمتهم علمًا، وعملاً، وأخلاقًا، ودعوة وتعليمًا، فإذا تجاوزوا هذا الحد وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت؛ لأنهم تجاوزوا ما كان يجب

عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة.

وأما قوله ـ رحمه الله ـ «أو مطاع» فيريد به الأمر الذين يطاعون شرعًا أو قدرًا، فالأمراء يطاعون شرعًا إذا أمروا بما لا يخالف أمر الله ورسوله وفي هذه الحال لا يصدق عليهم أنهم طواغيت، والواجب لهم على الرعية السمع والطاعة، وطاعتهم لولاة الأمر في هذا الحال بهذا القيد طاعة لله ـ عز وجل ـ ولهذا ينبغي أن نلاحظ حين ننفذ ما أمر به ولي الأمر مما تجب طاعته فيه أننا في ذلك نتعبد لله تعالى ونتقرب إليه بطاعته، حتى يكون تنفيذنا لهذا الأمر قربة إلى الله عز وجل وإنما ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وأما طاعة الأمراء قدرًا فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء في سلطتهم فإن الناس يطيعونهم بقوة السلطان وإن لم يكن بوازع الإيمان، لأن طاعة ولي الأمر تكون بوازع الإيمان وهذه هي الطاعة النافعة، النافعة لولاة الأمر، والنافعة للناس أيضًا، وقد تكون الطاعة بوازع السلطان بحيث يكون قويًّا يخشى الناس منه ويهابونه لأنه ينكل بمن خالف أمره.

ولهذا نقول: إن الناس مع حكامهم في هذه المسألة لهم أحوال:

الحال الأولى: أن يقوى الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أكمل الأحوال وأعلاها.

الحال الثانية: أن يضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أدنى الأحوال وأخطرها على المجتمع، على حكامه ومحكوميه؛ لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني حصلت الفوضى الفكرية والخلقية، والعملية.

الحال الثالثة: أن يضعف الوازع الإيماني ويقوى الرادع السلطاني وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوي الرادع السلطاني صار أصلح للأمة في المظهر فإذا

اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها .

الحال الرابعة : أن يقوىٰ الوازع الإيماني ويضعف الرادع السلطاني فيكون المظهر أدنىٰ منه في الحال الثالثة لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل وأعلىٰ .

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ :**

الطاغوت : صيغة مبنية للكثرة والسعة ، طغىٰ يطغىٰ طغيانًا ومعنىٰ ذلك : تجاوز الحد ، طغىٰ الماء : تجاوز الحد . والطاغوت اسم لكل ماتجاوز به العبد حده ، أي الحد الشرعي له .

(من معبود) أي إذا عبد أحد غير اللَّه فذلك الغير هو طاغوت هذا إذا كان المعبود راضيًا بهذه العبادة ، أما إذا كان يكرهها فلا يسمىٰ طاغوتًا .

(أو متبوع) أي يتبع ويمشىٰ وراءه إذا تجاوز حده فقد صار طاغوتًا له .

❑ ❑ ❑

● **قوله : (وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرةٌ وَرُءُوسُهُمْ خَمْسَةٌ : إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ . وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبادَةِ نَفْسِهِ ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنَ عِلْمِ الْغَيْبِ وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ) :**

● الشرح ●

● **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :**

الطواغيت : جمع طاغوت وسبق تفسيره .

(ورءوسهم) : أي زعمائهم ومقلِّدوهم خمسة .

إبليس : هو الشيطان الرجيم اللعين الذي قال الله له : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [سورة ص : ٧٨]

وكان إبليس مع الملائكة في صحبتهم يعمل بعملهم، ولما أمر بالسجود لآدم ظهر ما فيه من الخبث والإباء والاستكبار فأبى واستكبر وكان من الكافرين فطرد من رحمة الله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٤].

(ومن عُبد وهو راضٍ): أي عبد من دون الله وهو راض أن يعبد من دون الله فإنه من رءوس الطواغيت - والعياذ بالله - وسواء عُبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك.

(ومن دعا الناس...): أي من دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فإنه من رءوس الطواغيت سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يُجَبْ.

والغيب: ما غاب عن الإنسان وهو نوعان:

واقع، ومستقبل، فغيب الواقع: نسبي يكون لشخص معلومًا ولآخر مجهولاً، وغيب المستقبل: حقيقي لا يكون معلومًا لأحد إلا الله وحده أو من أطلعه عليه من الرسل فمن ادعى علمه فهو كافر لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة النمل: ٦٥].

وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمدًا ﷺ، أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من السموات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله عز وجل ورسوله في هذا الخبر.

ونقول لهؤلاء: كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ﷺ لا يعلم الغيب؟! هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ ؟! فإن قالوا: نحن أشرف من الرسول. كفروا بهذا القول، وإن قالوا: هو أشرف. فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم

تعلمونه؟!

وقد قال الله عز وجل عن نفسه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [سورة الجن: ٢٦-٢٧]، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه أن يعلن للملإ بقوله: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [سورة الأنعام: ٥٠].

والحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمَّى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أربابًا لمتبعيهم فقال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣١]، فسمى الله تعالى المتبوعين أربابًا حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عُبَّادًا حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى.

وقد قال عدي بن حاتم لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم فقال النبي ﷺ: «**بل إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم**»(١).

إذا فهمت ذلك فاعلم أن من لم يحكم بما أنزل الله، وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وآيات بكفره وظلمه، وفسقه.

فأما القسم الأول:

فمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا

(١) تقدم تخريجه.

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٠-٦٥].

فوصف الله تعالىٰ هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات:

الأولى: أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلىٰ الطاغوت، وهو كل ما خالف حكم الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان واعتداء علىٰ حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

الثانية: أنهم إذا دُعُوا إلىٰ ما أنزل الله وإلىٰ الرسول صدُّوا وأعرضوا.

الثالثة: أنهم إذا أصيبوا بمصيبة بما قدمت أيديهم - ومنها أن يعثر علىٰ صنيعهم - جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلاَّ الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعمًا منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر.

ثم حذَّر - سبحانه - هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه - سبحانه - يعلم ما في قلوبهم وما يكنونه من أمور تخالف ما يقولون، وأمر نبيه أن

يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغًا، ثم بيَّن أن الحكمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبوع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم، ثم أقسم تعالىٰ بربوبيته لرسوله التي هي أخص أنواع الربوبية والتي تتضمن الإشارة إلىٰ صحة رسالته ﷺ، أقسم بها قسمًا مؤكدًا أنه لا يصح الإيمان إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون التحاكم في كل نزاع إلىٰ رسول الله ﷺ.

الثاني: أن تنشرح الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.

الثالث: أن يحصل التسليم بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان و انحراف.

وأما القسم الثاني:

فمثل قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [سورة المائدة:٣٣]، وقوله: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [سورة المائدة:٤٥]، وقوله: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [سورة المائدة:٤٧]، وهل هذه الأوصاف الثلاثة تتنزل علىٰ موصوف واحد؟ بمعنىٰ أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، لأن الله تعالىٰ وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال تعالىٰ: ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [سورة البقرة:٢٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿**إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [سورة التوبة:٨٤].

فكل كافر ظالم فاسق، أو هذه الأوصاف تتنزل علىٰ موصوفين بحسب الحامل لهم علىٰ عدم الحكم بما أنزل الله؟ هذا هو الأقرب عندي والله أعلم.

فنقول: من لم يحكم بما أنزل الله استخفافًا به، أو احتقارًا، أو اعتقادًا أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجًا يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا

وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه.

ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافًا بحكم الله، ولا احتقارًا، ولا اعتقادًا أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله أنهم على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال ـ كذا العبارة المنقولة عنه ـ ثابتًا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب.

وهناك فرق بين المسائل التي تعتبر تشريعًا عامًّا والمسألة المعينة التي يحكم فيها القاضي بغير ما أنزل الله لأن المسائل التي تعتبر تشريعًا عامًّا لا يتأتى فيها التقسيم السابق، وإنما هي من القسم الأول فقط لأن هذا المشرع تشريعًا يخالف الإسلام إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه.

وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة ـ نسأل الله تعالى أن يصلح

للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم - كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام لتقوم الحجة عليهم وتتبين المحجة فيهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيَّ عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

● **قال الشيخ صالح آل الشيخ:**

(**إبليس لعنه الله**) هو رأس الطواغيت لأنه متبوع ولأنه مطاع وهو راض بذلك لذلك.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم**﴾ الآية.

فالاستجابة هنا في المتابعة والطاعة.

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**﴾ أي بالطاعة كما هو تفسيرها.

(**ومن عبد وهو راضٍ**) هذا القيد مهم.

(**ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه**) هذا أعظم من الأول، مثل بعض مشايخ الطرق الصوفية ورءوس الرافضة والإسماعيلية.

(**ومن ادعى شيئًا من علم الغيب**) فهو من جنس الشياطين لأنه كاهن أو ساحر.

(**ومن حكم بغير ماأنزل الله**) هذا فيه تفصيل:

١ - إذا حكم بغير ما أنزل اللَّه معتقداً أن حكمه جائز وأن له أن يحكم، وحكمه قرين لحكم اللَّه أو مساوٍ له أو أفضل منه أو نحوه فإن هذا يُعد طاغوتًا.

٢ - أما إن حكم بغير ما أنزل اللَّه وهو يعلم أنه عاصٍ بحكمه وأن حكم اللَّه

جل وعلا أفضل وهو المتعين لكنه غلبته نفسه وشهوته بأن حكم بغير ما أنزل في بعض المسائل، كما يحصل لبعض المفتونين من القضاة كأن يُرشي القاضي فيغير حكم اللَّه تعالىٰ، وهذا معصية من المعاصي ولاشك أن معصية سماها اللَّه كفراً أعظم مما لم يسمها كذلك.

وهناك نوع آخر حدث في هذا الزمان وهو تحكيم القوانين: وهو أن يستبدل الشرع بقوانين وضعية يأتي بها الحكام من غير اللَّه ورسوله، وهذا كما قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه اللَّه في أول رسالته (تحكيم القوانين): إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الوحي الأمين علىٰ قلب سيد المرسلين للحكم به بين العالمين وللرد إليه عند تنازع المتخاصمين معاندة ومكابرة لقول اللَّه تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

والتفصيل: إذا كان الحكم به غالبًا صار استبدالاً ويكون كفرًا، لأنه استبدل شريعة مكان شريعة.

❑ ❑ ❑

● قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [سورة البقرة:٢٥٦] وَهَذَا مَعْنَى لاَ إِلهَ إِلاَّ الله):

● الشرح ●

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

أي علىٰ وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت.

لا إكراه علىٰ الدين لظهور أدلته وبيانها ووضوحها ولهذا قال بعده: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ فإذا تبين الرشد في الغي فإن كل نفس سليمة لابد أن تختار

الرشد على الغي .

بدأ الله عز وجل بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله ؛ لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت ولهذا يقال التخلية قبل التحلية .

﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ أي تمسك بها تمسكًا تامًّا والعروة الوثقى هي الإسلام وتأمل كيف قال عز وجل : ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ ، ولم يقل : (تمسك) لأن الاستمساك أقوى من التمسك فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك .

❑ ❑ ❑

● قوله : (وَفِي الْحَدِيثِ : «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وذُرْوَةُ سَنَامِه الْجِهَادُ فِي سَبِيْلِ الله» .

وَاللهَ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ) :

• الشرح •

● قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

أراد المؤلف رحمه الله تعالى الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأسًا ، فرأس الأمر الذي جاء به محمد ﷺ الإسلام .

(وعموده الصلاة) : لأنه لا يقوم إلا بها ولهذا كان القول الراجح كفر تارك الصلاة وأنه ليس له الإسلام .

(وذروة سنامه) : أي أعلاه وأكمله الجهاد في سبيل الله ، وذلك الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غيره بالجهاد في سبيل الله ليقوم الإسلام ولتكون كلمة الله هي العليا ، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وصار ذروة السنام لأن به علو الإسلام على غيره .

❑ ❑ ❑

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تم الفهرس والحمد لله رب العالمين